القلزم للدراسات التاريخية والحضارية
مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز بحوث ودراسات دول حوض البحر الأحمر - السودان
بالشراكة مع الاتحاد الدولي للمؤرخين - الدنمارك
ISSN:1858-9952

في هذا العدد :

- مشروع المسح الآثاري والتراثي لمنطقة المحس: رؤى حول التاريخ والهوية الثقافية
  أ.د علي عثمان محمد صالح
- المواقع الأثرية في منطقة المقاودة (إضاءة حول جهود حمايتها من المخاطر البشريّة)
  د.عوض شبّا
- الوجود الآثاري والتاريخي لحرفة الطوب الأحمر في منطقة الجريف شرق
  د. أسعد عبد الرحمن عوض الله
- قيادة المرأة في إفريقيا السودان وجنوب إفريقيا نموذجاً
  د. عبد المنعم أحمد عبد الله بابكر
- موقف الدولة المملوكية من الكوارث الطبيعيةوأثرها على الآثار التاريخية(648 – 923هـ/1250 – 1517م)
  حميدان محمود حميدان ناجي

العدد الخامس والثلاثون رجب 1446هـ - يناير 2025م

مجلة القُلزم للدراسات التاريخية والحضارية علمية دولية محكمة -العدد الخامس والثلاثون رجب 1446هـ - يناير 2025م

ISSN: 1858 - 9952 ردمك

دار آريثيريا للنشر والتوزيع
Arrythria for Publishing and Distribution

فهرسة المكتبة الوطنية السودانية-السودان
مجلة القلزم:Alqulzum Journal for
Historical and cultural Studies
الخرطوم : مركز دول حوض البحر الأحمر 2024
تصدر عن دار آريثيريا للنشر والتوزيع -السوق العربي
السودان - الخرطوم
ردمك: 1858-9952

مجلة القلزم للدراسات التاريخية و الحضارية

هيئة التحرير

المشرف العام

أ.د.إبراهيم البيضاني

رئيس هيئة التحرير

أ.د.حاتم الصديق محمد احمد

رئيس التحرير

د. عوض أحمد حسني شبا

سكرتير التحرير

د.سلوى التجاني فضل جبر الله

التدقيق اللغوي

أ.الفاتح يحيى محمد عبد القادر

الإشراف الإلكتروني

د. محمد المأمون

التصميم الداخلي

أ. عادل محمد عبد القادر

تصميم الغلاف

ايلين عبد الرحيم ابنعوف

الهيئة العلمية و الإستشارية

أ.د. حسن أحمد إبراهيم-السودان

أ.د. سارة بنت عبد الله العتيبي- المملكة العربية السعودية

أ.د. أسامة عبد الرحمن الأمين- السودان

أ.د. أبو هريرة عبد الله محمود يعقوب- السودان

أ.د. أشرف محمد عبد الرحمن مؤنس - جمهورية مصر العربية

أ.د. السماني النصري محمد أحمد - السودان

د. أحمد الياس الحسين - السودان

د. داود ساغه محمد عبد الله- السودان

د. سلطان أحمد الغامدي- المملكة العربية السعودية

د. سامي صالح عبد المالك البياضي- مصر

د. محمد أحمد زروق- المغرب

د. سعاد عبد العزيز أحمد السودان

د . أحمد محمد مركز- السودان

د. باب ولد أحمد ولد الشيخ سيديا- موريتانيا

د. عزة محمد موسى - السودان

د. حنان عبد الرحمن عبد الله التجاني- السودان

د. ربيعة أحمد عمران المداح- ليبيا

د. أمل عبد المعز صالح الحميري- جامعة صنعاء اليمن

الآراء والأفكار التي تنشر في المجلة

تحمل وجهة نظر كاتبها ولا تعبر بالضرورة عن آراء المركز

موجهات النشر

تعريف المجلة:

مجلة (القُلزم) للدراسات التاريخية و الحضارية مجلة علمية محُكمة تصدر عن مركز بحوث ودراسات دول حوض البحر الأحمر - السودان . بالشراكة مع الاتحاد الدولي للمؤرخين - الدنمارك تهتم المجلة بالبحوث والدراسات التاريخية والحضارية والمواضيع ذات الصلة لدول حوض البحر الأحمر من الناحية التاريخية والحضارية.

موجهات المجلة:

1. يجب أن يتسم البحث بالجودة والأصالة وألا يكون قد سبق نشره قبل ذلك.
2. على الباحث أن يقدم بحثه من نسختين. وأن يكون بخط (Traditional Arabic) بحجم 14 على أن تكون الجداول مرقمة وفي نهاية البحث وقبل المراجع على أن يشارك إلى رقم الجدول بين قوسين دائريين ().
3. يجب ترقيم جميع الصفحات تسلسلياً وبالأرقام العربية بما في ذلك الجداول والأشكال التي تلحق بالبحث.
4. المصادر والمراجع الحديثة يستخدم أسم المؤلف، اسم الكتاب، رقم الطبعة، مكان الطبع، تاريخ الطبع، رقم الصفحة.
5. المصادر الأجنبية يستخدم اسم العائلة (Hill, R,).
6. يجب ألا يزيد البحث عن 30 صفحة وبالإمكان كتابته باللغة العربية أو الإنجليزية.
7. يجب أن يكون هناك مستخلص لكل بحث باللغتين العربية والإنجليزية على ألا يزيد على 200 كلمة بالنسبة للغة الإنجليزية. أما بالنسبة للغة العربية فيجب أن يكون المستخلص وافياً للبحث بما في ذلك طريقة البحث والنتائج والاستنتاجات مما يساعد القارئ العربي على استيعاب موضوع البحث وبما لا يزيد عن 300 كلمة.
8. لا تلزم هيئة تحرير المجلة بإعادة الأوراق التي لم يتم قبولها للنشر.
9. على الباحث إرفاق عنوانه كاملاً مع الورقة المقدمة (الاسم رباعي، مكان العمل، الهاتف البريد الإلكتروني).

نأمل قراءة شروط النشر قبل الشروع في إعداد الورقة العلمية.

المحتويات

مـشروع المسـح الآثـاري والـتراثي لمنطقة المحـس: رؤى حـول التاريخ والهويـة الثقافيـة....(7-18)
أ.د علي عثمان محمد صالح

المواقـع الأثريـة في منطقـة المقاودة (إضاءة حول جهود حمايتها من المخاطـر البشريّة)..(19-44)
د.عوض شبّا

الوجود الآثاري والتاريخي لحرفة الطوب الأحمر في منطقة الجريف شرق.....(45-64)
د. أسعد عبد الرحمن عوض الله

قيـادة المـرأة في إفريقيا السـودان وجنـوب إفريقيـا نموذجـاً.....(65-80)
د. عبد المنعم أحمد عبد الله بابكر

موقـف الدولـة المملوكيـة مـن الكـوارث الطبيعيةوأثرهـا عـلى الآثـار التاريخيـة(648 –
923هـ/1250 – 1517م).....(81-100)
حميدان محمود حميدان ناجي

كلمة التحرير

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير الخلق أجمعين.

القارئ الكريم:

بعد السلام وكامل التقدير والاحترام يسعدنا أن نضع بين يديك هذا العدد من مجلة القلزم للدراسات التاريخية والحضارية الذي يأتي في إطار الشراكة العلمية المثمرة والجادة مع الاتحاد الدولي للمؤرخين (الدنمارك).

القارئ الكريم:

يسعدنا ويسرنا أن نضع بين يديك العدد الخامس والثلاثون من مجلة القُلزم العلمية للدراسات الإسلامية وهي تصدر في إطار الشراكة لمركز بحوث ودراسات دول حوض البحر الأحمر مع جامعة كسلا (السودان) عن دار آريثيريا للنشر والتوزيع، ويضم هذا العدد مواضيع متنوعة نتمنى أن تنال رضاكم .

القارئ الكريم:

نأمل أن يكون هذا العدد أكثر شمولاً وتنوعاً من حيث المواضيع وطريقة طرحها وتحليلها ومعالجتها. ونسأل الله تعالى أن يجد المهتمين والمختصين والباحثين في هذا العدد ما يفيدهم ويضيف للبحث العلمي.

وأخيراً نجدد شكرنا وامتنانا لكل الذين أسهموا في إنجاح هذا العدد من باحثين، ومحكمين ونجدد دعوتنا للجميع بأن أبواب النشر مشرعة في جميع مجلات القلزم العلمية المتخصصة.

وهذه الأوراق العلمية قدمت في المؤتمر الاثاري الثاني الذي عقد بالشراكة بين مركز بحوث ودراسات دول حوض البحر الأحمر- السودان وجامعة النيلين ممثلةً في كلية الآداب وقسم الآثار

أسرة التحرير

مشروع المسح الآثاري والتراثي لمنطقة المحس: رؤى حول التاريخ والهوية الثقافية

أ.د علي عثمان محمد صالح

قسم الاثار - جامعة الخرطوم

مركز بحوث ودراسات دول حوض البحر الأحمر- السودان

مستخلص:

شهدت الولاية الشمالية في السودان بدايات النشاط الأثري المنظم في أوائل القرن العشرين، مدفوعاً بمشاريع كبرى مثل بناء خزان أسوان والسد العالي، التي أدت إلى إجراء مسوحات وتنقيبات أثرية هامة. رغم أن هذه الجهود ساهمت في وضع أسس لفهم التراث الثقافي السوداني، إلا أن العمل الأثري ظل لفترة طويلة تحت سيطرة البعثات الأجنبية. مع استقلال السودان في منتصف القرن العشرين، بدأت الجهود الوطنية تتبلور، حيث أُنشئت مؤسسات مثل الهيئة العامة للآثار والمتاحف وقسم الآثار بجامعة الخرطوم في عام 1964. وقد ساهم هذا القسم بشكل خاص في تطوير البحث الأثري في السودان من خلال تنفيذ مشاريع ميدانية، وتأهيل كوادر وطنية، والتعاون مع مؤسسات محلية وعالمية. تسعى هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على تطور العمل الأثري في السودان، مع التركيز على دور المؤسسات الوطنية مثل قسم الآثار بجامعة الخرطوم في إدارة وحماية التراث الثقافي، ومساهمتها في تعزيز المعرفة الأثرية من خلال مشاريع بارزة مثل مشروع المحس الآثاري.

الكلمات المفتاحية: منطقة المحس، الآثار، التراث، اللغة، الهوية الثقافية

Mahs Archaeological and Heritage Survey Project: Insights on History and Cultural Identity

Professor Ali Osman Mohamed Salih

Abstract:

Northern Sudan witnessed the beginnings of organized archeological activity in the early 20th century, spurred by large-scale projects such as the construction of the Aswan Dam and High Dam, which resulted in extensive archeological surveys and excavations. While these efforts laid the foundations for understanding Sudan's cultural heritage, archeological work remained largely under the control of foreign missions for an extended period. With Sudan's independence in the mid-20th century, national efforts began to take shape, marked by the establishment of institutions such as the National Corporation for Antiquities and Museums (NCAM) and the Department of Archeology at the Uni-

versity of Khartoum in 1964. The latter played a particularly important role in promoting archeological research in Sudan through field projects, the training of national experts and cooperation with local and international institutions. This study aims to shed light on the development of archeological work in Sudan, focusing on the role of national institutions such as the Department of Archeology at the University of Khartoum in the management and protection of cultural heritage. It also examines their contribution to the expansion of archeological knowledge through pioneering projects such as the Mahas Archeological Project.

Key words: Mahas region, Archaeology, Heritage, Language, cultural identity

مقدمة:

نشأت فكرة مشروع المسح الآثاري والتنقيب الإنقاذي واللغة والاستيطان والتاريخ لمنطقة المحس (أنظر خريطة رقم 1) في أواخر ثمانينيات القرن العشرين كمبادرة علمية تسعى لدراسة شاملة للمنطقة بهدف فهم تاريخها الثقافي والاجتماعي الممتد عبر العصور. أُسست هذه الفكرة على أوراق بحثية وضعها البروفيسور علي عثمان محمد صالح، تناولت خطط العمل ومناهجه وأساليبه، بالإضافة إلى تحديد أهداف المشروع ودوره في تأطير الدراسات الثقافية والاجتماعية التاريخية باستخدام مناهج متعددة التخصصات (Osman, 1990; Osman, 2004). شكل المشروع مثالاً على علم آثار وطني متكامل يسعى لتلبية إحتياجات المجتمع السوداني من خلال منهجية علمية تتماشى مع القوانين الدولية. تمثلت الأهداف الرئيسية للمشروع في دراسة التتابع والاستمرارية الثقافية والبشرية والعمرانية بمنطقة المحس، مع التركيز على فهم العوامل البيئية والاقتصادية والاجتماعية التي أثرت على تطور المنطقة (Whiteman, 1971; Osman, 1990; Hon-egger and Williams, 2015; Williams, 2015)، بالإضافة إلى توثيق التحولات الدينية واللغوية عبر الحقب التاريخية(James, 2008; Jok, 2015) . كما سعى المشروع إلى دراسة التداخلات الثقافية مع المجموعات الوافدة وإمكانية بناء نموذج لدراسة الاستيطان الإقليمي يمكن تطبيقه على مناطق أخرى في السودان(Essien, and Falola, 2008). رغم تحقيق تقدم ملحوظ خلال الموسمين الأولين في تسجيل المواقع الأثرية وتحليلها، واجه المشروع تحديات كبيرة، أبرزها تغير الأولويات الوطنية بسبب التخطيط لبناء خزان كجبار، ما حوّل المشروع إلى مهمة إنقاذية (Osman, 2004, Edwards, and Osman, 2012). وبالرغم من تفرق أعضاء الفريق الأصليين ونقص الدعم المالي واللوجستي. لم تتوقف الجهود لإعادة تفعيل المشروع، حيث أُعيدت صياغة أهدافه وأضيفت مجالات جديدة، مثل دراسة الأسماء الجغرافية واللغويات، مع مشاركة خبراء دوليين (Hashim, and Bell, 2000; Hashim, 2001; Bell, and Hashim, 2002). تتميز منطقة المحس بتنوعها الثقافي والجغرافي، ما يجعلها ميداناً مثالياً للدراسات الإقليمية التي تجمع بين الآثار واللغة والتراث(Haaland, 1977; Ed-

(wards, 2004, Osman, 2004 . ركز المشروع على الجمع بين الدراسات الميدانية والمسح والتنقيب المنهجي لتوثيق المواقع المهددة، إلى جانب بناء أرشيف شامل يتضمن التقارير والمقتنيات والصور (Edwards, 2004, Osman, 2004; Edwards, and Osman, 2012). ومع أن المشروع حقق نتائج مهمة، فإن الدراسات السابقة أظهرت قصوراً واضحاً في توثيق المواقع بشكل متكامل أو في تقديم رؤية شاملة لتأثير العوامل البيئية والاجتماعية على الإستيطان في المنطقة عبر العصور. المنهجية الحالية للمشروع تعتمد على إعادة تنظيم الأولويات وإدخال أدوات وتقنيات حديثة مثل نظم المعلومات الجغرافية (GIS) وتحليل الصور الجوية لتوسيع فهم المنطقة جغرافياً وزمنياً. كما سيتم تعزيز التعاون بين التخصصات لضمان تقديم رؤية متكاملة تستند إلى البيانات الميدانية والتحليل العلمي، مع الإستفادة من الخبرات المحلية والدولية لضمان استدامة العمل العلمي وتعزيز دوره في حفظ التراث الثقافي للمنطقة.

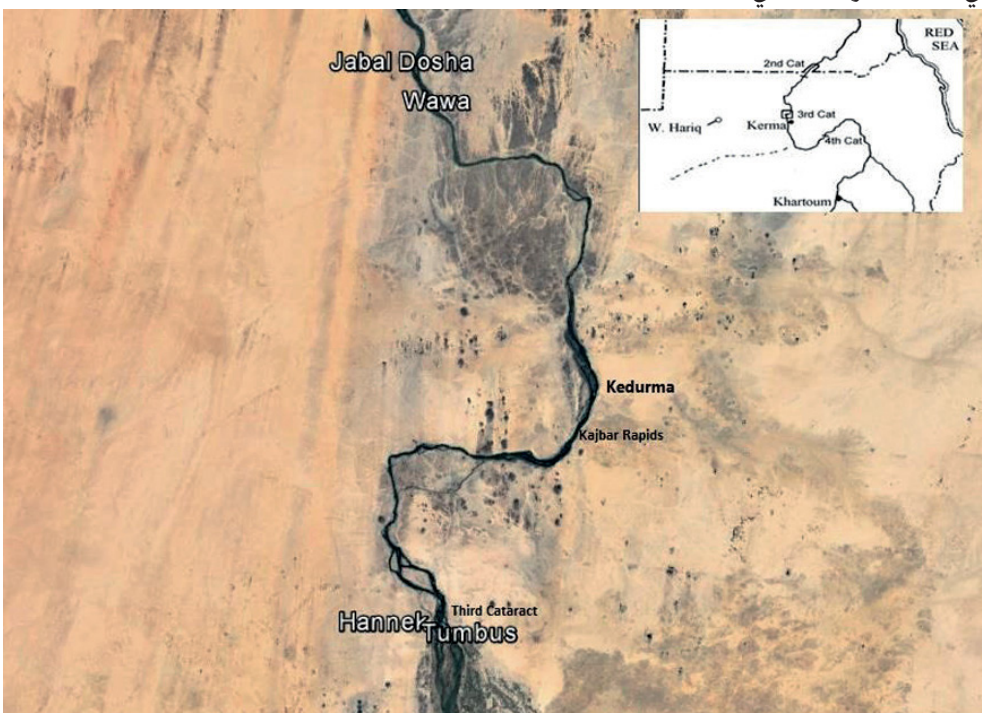

(Map 1. Third Cataract Region (based on © Google Earth) After, (Bashir, et al., 2021

جيولوجيا المنطقة:

تقع المنطقة التي شملها المسح في المساحة الواقعة إلى الشمال من الشلال الثالث لنهر النيل في شمال السودان، وتمتد ما بين قرى حنك على الضفة الغربية وتمبس على الضفة الشرقية، جنوب الشلال الثالث، وصولاً إلى منطقة جبل دوشة وواوة شمالاً. حيث يمثل جبل دوشة، معلماً طبيعياً بارزاً يمتد نحو 3 كيلومترات داخل الصحراء (Edwards, and Osman, 2012; Bashir, et

al., 2021) تتميز المنطقة بتنوع جغرافي يشمل الجبال والصحارى والأودية الموسمية التي تغذيها الأمطار، بينما يبقى نهر النيل المصدر الأساسي والدائم للمياه، حيث يعبر المنطقة من الجنوب إلى الشمال بين شلالي تمبس وسبو-كجبار (انظر خريطة رقم 2). تُعد الأراضي الزراعية محدودة في هذه المنطقة، لكنها غنية بالتربة الغرينية، خاصة في الشريط الممتد بين نوري وسبو-كجبار، حيث يمتد إلى حوالي 3 كيلومترات عرضاً وأكثر من 13 كيلومتر طولاً (Edwards, and Osman, 2012). كما أن الطابع الجيولوجي للمنطقة، المكوّن من صخور القاعدة من عصر ما قبل الكامبري محاطة بالحجر النوبي الرملي والطين والحصى (Whiteman 1971)، قد أثر على أنماط الصرف المائي فيها، بما في ذلك الأودية التي تربط معظم قرى المحس بالصحراء الشرقية والغربية. تتميز هذه الوديان بظروف بيئية ملائمة للاستيطان البشرى منذ فترات ما قبل التاريخ (Osman, 2004; Bashir, et al., 2021).

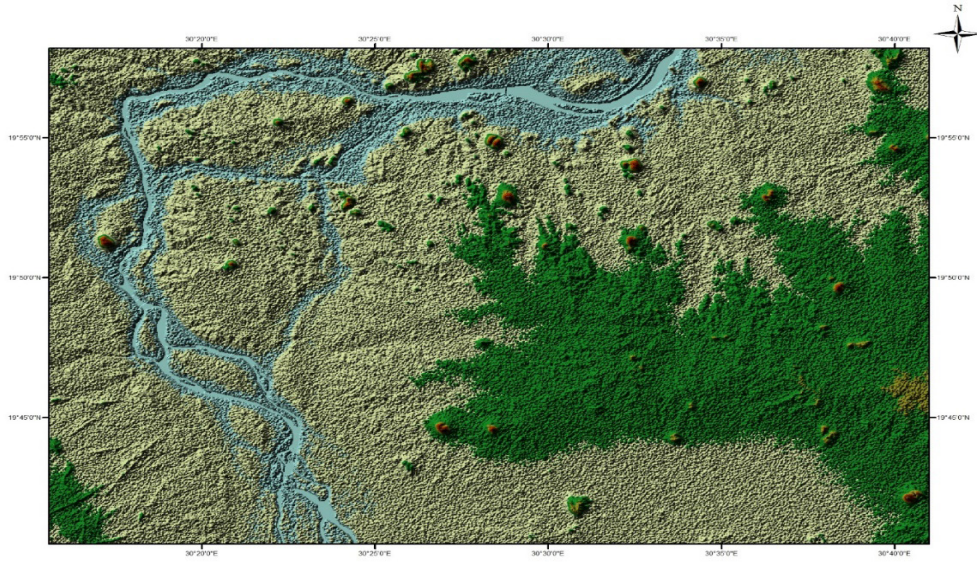

منظر الأرض بمنطقة الشلال الثالث: استناداً إلى © هيئة المساحة السودانية 2018 ، SSA.

أهداف المشروع وخطة العمل:

بناءً على ما سبق، تم حصر أهداف المشروع في التالي: أولاً، تحديد المواقع الأثرية باستخدام نظم المعلومات الجغرافية والسجلات الوثائقية التاريخية والمصادر الأخرى مثل الروايات الشفاهية. ثم إجراء استكشاف أولي للتحقق من المواقع المعروفة وتحديد المواقع الرئيسية الجديدة وتصنيفها وتوثيقها، بما في ذلك رسم الخرائط والمخططات الخاصة بها. و المرحلة التالية، إجراء مسوحات مكثفة للمواقع ذات الأهمية الخاصة ومن ثم وحصرها وتحليلها. وأخيراً، إجراء مسح دقيق للمواقع المختارة مع إمكانية إجراء حفريات تجريبية لمعرفة ودراسة الطبقات الأثرية من أجل دراستها بشكل مفصل في المستقبل (Edwards, and Osman, 1991; Osman, 2004; Edwards and Osman, 2012).

نتائج المواسم الأولى:

قدم المشروع العديد من الاكتشافات المهمة التي أضافت أبعاداً جديدة إلى معرفتنا بتاريخ المنطقة الثقافي. هذه النتائج قدمت إجابات لأسئلة كبيرة في تاريخ السودان القديم والحديث وأسهمت في إعادة تشكيل فهمنا لتلك الفترات.

مواقع ما قبل التاريخ ومجاري الأنهار القديمة: تم تحديد العديد من مواقع العصر الحجري القديم والعصر الحجري الحديث، إلى جانب مجاري أنهار قديمة شرق النيل وحتى خط السكة الحديد القديمة. كشفت هذه الاكتشافات أن منطقة الشلال الثالث كانت تضم جزيرتين كبيرتين في الماضي، مما يبرز أهمية المنطقة كموقع ملائم للسكنى في التاريخ القديم. تم توثيق 47 موقعاً تعود لفترة ما قبل التاريخ، منها 17 موقعاً تعود للعصر الحجري الحديث، مما يبرز إمكانية تطوير إطار ثقافي متجانس لهذه الفترة (أنظر خريطة رقم 3).

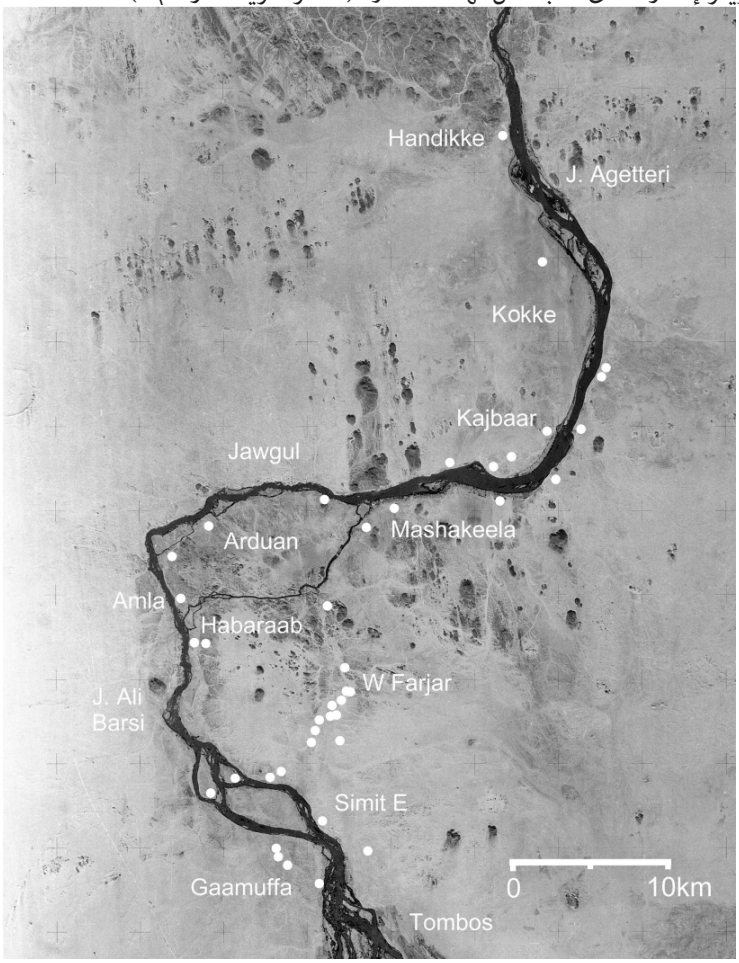

خريطة رقم (3). مواقع العصر الحجري المتأخرة 3000-7000 ق م Edwards, and Osman, 2012

المستوطنات المصرية في تمبس وجزيرة دبكي: تم الكشف عن مراكز إدارية مصرية تعود لعصر الدولة المصرية الحديثة، بما في ذلك مقابر لأمراء مصريين حكموا الإقليم بعد سقوط مملكة كرمة. هذا الاكتشاف يغير النظرة التقليدية التي تفترض تراجع النفوذ المصري من المنطقة بعد انتهاء فترة كرمة.

الوجود الإسلامي ضمن الممالك المسيحية: أظهرت الدلائل الأثرية وجود إمارات إسلامية في منطقة مملكة دنقلا المسيحية منذ القرن التاسع الميلادي، مما يعكس التعايش بين الإسلام والمسيحية. تضمنت الاكتشافات قباباً ومقابر مميزة في دلقو وسدلة، وأظهرت تأثير الطريقة الركابية في المنطقة خلال القرون العاشر وحتى السادس عشر (أنظر خريطة رقم 4).

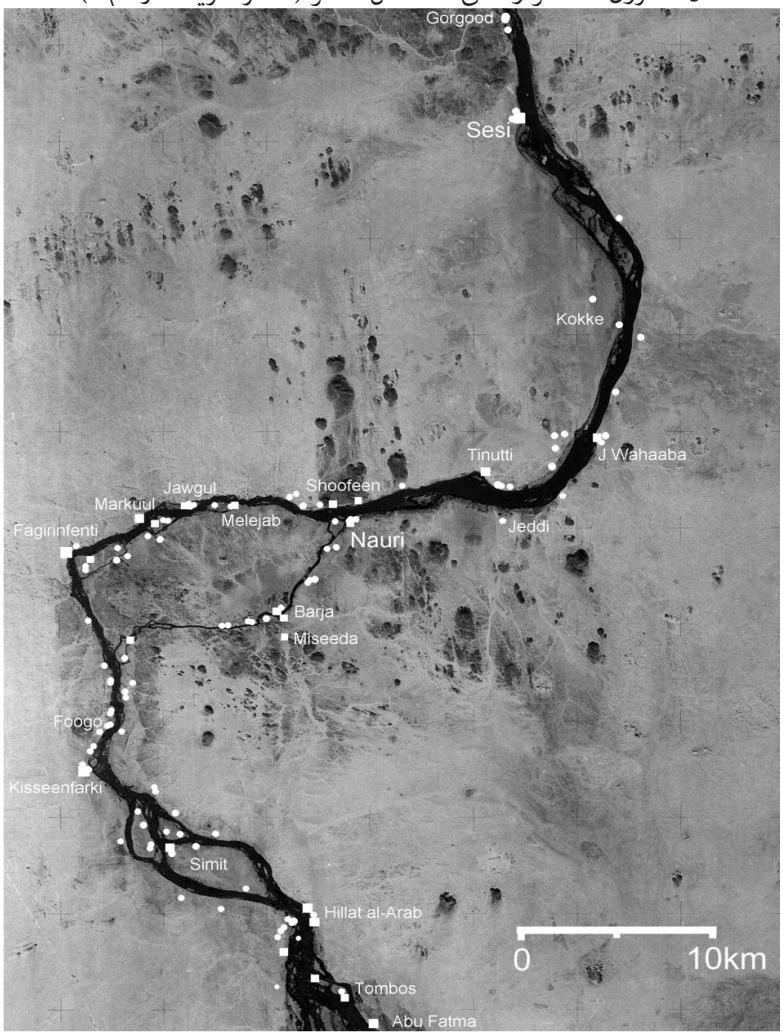

مواقع العصر الوسيط- مسيحي، وإسلامي Edwards, and Osman, 2012

آثار الفترة العثمانية: أسفرت الاكتشافات عن توثيق مواقع تعود للعهد العثماني، مما يوضح التحولات الثقافية والسياسية التي شهدتها المنطقة. كما فسرت هذه النتائج أسباب الهجرة الكبرى للمحس إلى وسط السودان في القرن السابع عشر، ودورها في انتشار المدارس القرآنية وتراجع التصوف تحت تأثير الإصلاحيين العثمانيين. ومن أشهر آثار الفترة العثمانية في إقليم المحس المنازل الطينية المحصنة والتي تعرف محلياً باسم الدفوفة (أنظر خريطة رقم 5).

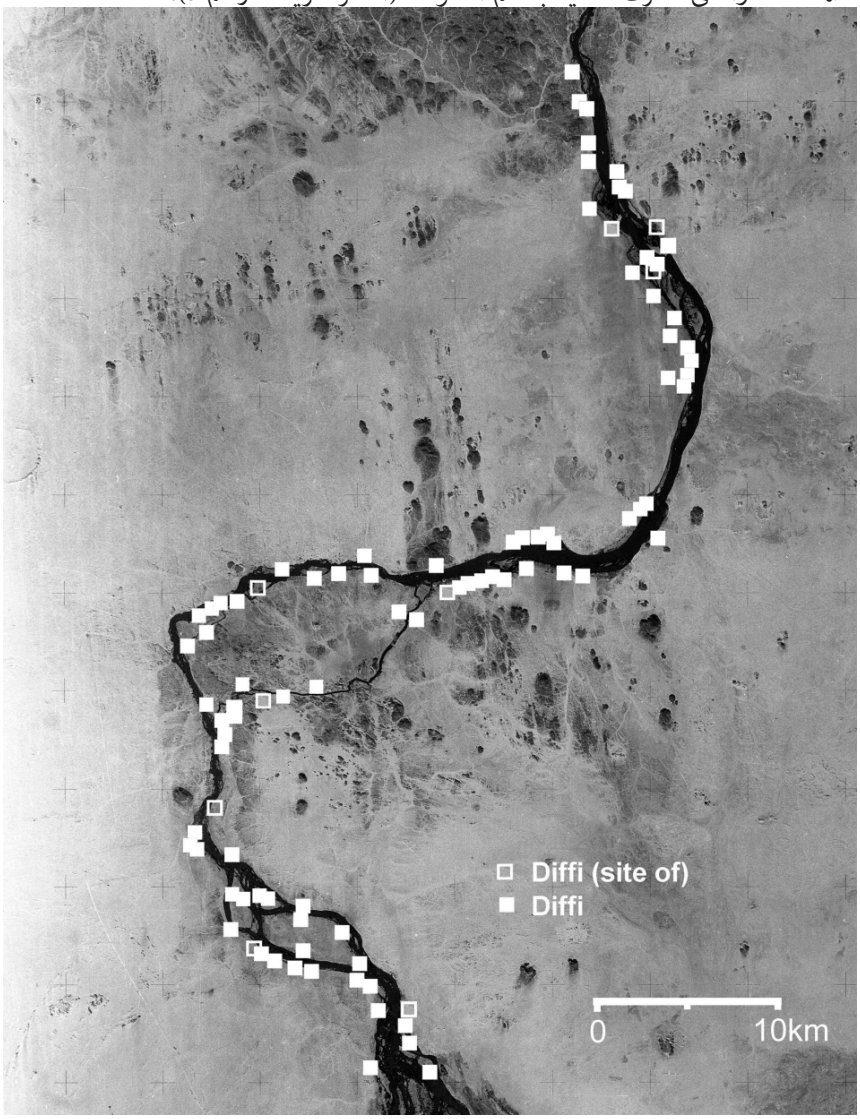

خريطة رقم (5). توضح مواقع المبنازل المحصنة «الدفوفة» Edwards, and Osman, 2012

من بين نتائج المشروع الهامة أيضاً، تم إنجاز 15 رسالة ماجستير و6 رسائل دكتوراه، جميعها من قسم الآثار بجامعة الخرطوم، تحت إشراف مدير المشروع. تعكس هذه الرسائل الجهود الأكاديمية المتميزة التي قام بها الطلاب، وتساهم بشكل كبير في إثراء البحث العلمي في مجال الآثار والدراسات التاريخية في السودان. كما تقدم هذه الدراسات تحليلاً معمقاً لمختلف جوانب التراث الثقافي والبيئي للمنطقة، مما يعزز من فهمنا للموارد التاريخية والثقافية ويؤكد على أهمية هذا المجال في الأبحاث الأكاديمية (أنظر الشكل 1).

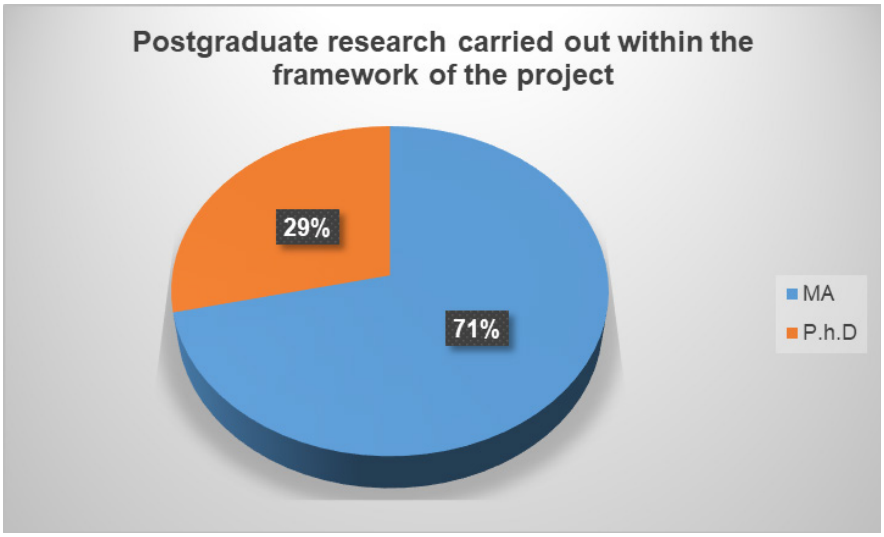

الشكل (1) يوضح مجموع الدرجات الأكاديمية والدراسات العليا التي أجريت في إطار المشروع

تعكس هذه الاكتشافات أهمية منطقة الشلال الثالث كموقع ديناميكي ومؤثر في تاريخ السودان، مما يستدعي المزيد من الدراسات لفهم كامل لتاريخها الغني.

المواسم الأخيرة 2014 - 2021:

تعد نوري من المواقع الأثرية الهامة التي أسهمت الاكتشافات السابقة فيها في بناء معرفتنا بتاريخ المنطقة، حيث تم التعرف على العديد من الوثائق والنقوش الهامة مثل نقش الملك سيتي الأول، الذي يروي تقديم أراضٍ من النوبة السفلى إلى معبد أبيدوس في مصر، وتم ترجمته ونشره في مجلة الآثار المصرية في عام 1952 (Gardiner, 1952)). كما تم اكتشاف وثيقة مسيحية مكتوبة باللغة النوبية القديمة، تتعلق باتفاق بين مالك ساقية ومزارع نُوبي. ومن خلال الكتابات التاريخية للرحالة مثل ابن سليم الأسواني وشلبي العثماني، تم الحصول على تفاصيل إضافية حول تاريخ المنطقة، بما في ذلك القصر العثماني الواقع عند سفح الجبل الغربي (Osman, 2015)). ورغم الاهتمام الكبير من قبل العلماء في فترات سابقة، إلا أن العمل الميداني لم يكن كافياً لتوثيق هذه المواقع بشكل شامل.ومنذ عام 2014 وحتى 2021، تحول العمل الأثري في نوري إلى تركيز أكبر على دراسة وتوثيق المواقع الأثرية في منطقة جبل نوري الغربي، وذلك نظراً لأهمية هذه المنطقة

الغنية بالآثار. يتضمن المشروع دراسة مجموعة من المواقع الهامة مثل القصر العثماني، قرية جير، محجر الجبس، والنقوش المصرية القديمة على الجبل الشرقي (أنظر الشكل 2). يهدف من هذا المشروع إلى تقديم دراسة شاملة لتاريخ المنطقة وتوثيق تطورها عبر العصور، خاصة في ظل عدم وجود دراسات ميدانية دقيقة كافية لتغطية هذه المواقع بشكل كامل. وبذلك، يسعى المشروع إلى فتح آفاق جديدة لفهم تاريخ نوري وتوثيقها كجزء من التراث الثقافي الغني في المنطقة.

الشكل رقم (2). يوضح قرية جير صورة مأخوذة من قمة الجبل الغربي، ويظهر الجبل الشرقي في الإطار

الجبل الغربي:

تتكون الآثار الموجودة على سطح الجبل الغربي من مجموعة متنوعة من المواقع والمكونات الأثرية التي تعكس مراحل تاريخية متعددة. تشمل هذه الآثار قلعة حجرية كبيرة تقع عند سفح الجبل، تضم برجين حجريين وأكواماً من قطع الحجارة المتناثرة، ما يشير إلى وجود مبانٍ كانت جزءاً من حصن أو قلعة. كما يوجد جدار حجري قائم يصل ارتفاعه إلى حوالي متر واحد، ويعد من البقايا المميزة التي تدل على أن المنطقة كانت مأهولة أو محمية. بالإضافة إلى ذلك، توجد مباني طينية ملحقة بالقلعة، ربما كانت تستخدم في مختلف الأغراض السكنية أو العسكرية. في الجزء العلوي من الجبل، توجد منطقة سكنية ومقدسات تضم مجموعة من المباني السكنية والكنائس، التي تشكل حياً سكنياً متكاملاً يعود إلى العصور الوسطى، ويحتمل أن تكون مقراً لحكام أو نبلاء، مثل صاحب الجبل، نائب ملك مملكة دنقلا المسيحية. وفي الجزء العلوي من الجبل، توجد منصة من صنع الإنسان تغطي سطح الجبل، وهي تشير إلى مكانة الموقع الأثرية

والاستراتيجية، حيث توجد فيها أيضاً مباني كبيرة يُحتمل أن تكون قصراً ملكياً وكنيسة متصلة به (أنظر الشكل 3).

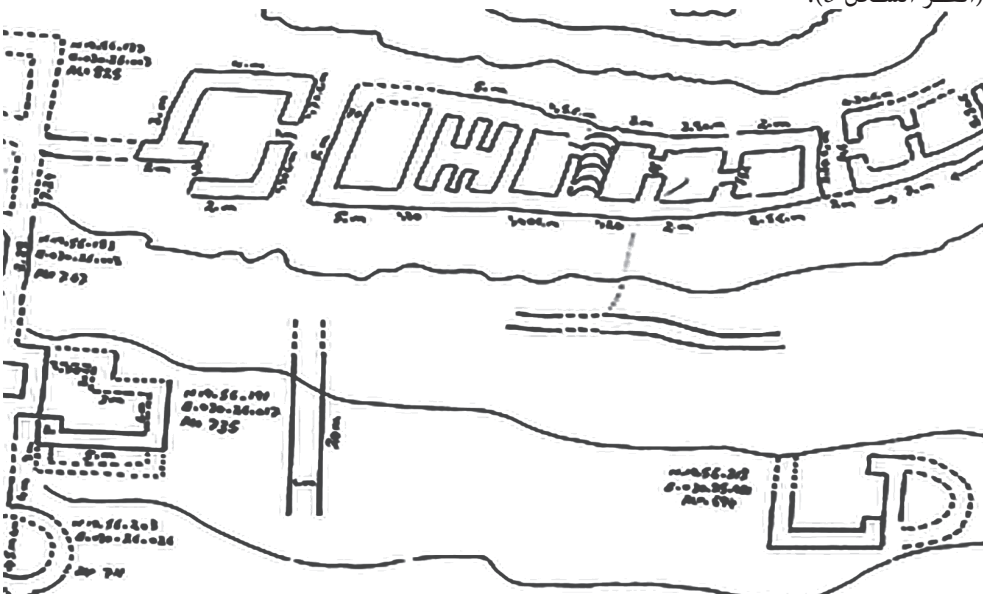

الشكل (3). رسم تخطيطي للمباني الموجودة على المنطقة المستوية على ارتفاع 880 قدم فوق سطح الجبل الغربي.

إلى اليسار من هذه المباني، توجد إعادة تشكيل غريبة لقمم الجبل المقطوعة. أما إلى اليمين من هذه المباني، باتجاه الجنوب الجغرافي، يوجد كهف كبير مع أرضية مسطحة، وعليها أكثر من 200 صليب قديم من العصور المسيحية المبكرة، والمعروفة عادة بالصليب الأكسومي. هذه الصلبان تُعتبر من أصل جنوب آسيوي، وترتبط بطائفة تُسمى «طائفة يوليوس من هاليكارناسوس»، التي نشأت في مصر بين عامي 518 و520 ميلادي. ومن ثم انتشرت في شبه الجزيرة العربية نتيجة لنشاط بعض الشخصيات مثل إيوروتروبيوس، الذي عين عشرة أساقفة في منطقة العرب وأرسلهم في جميع الاتجاهات. ومنذ عام 525 ميلادي، أصبحت المنطقة الجنوبية من شبه الجزيرة العربية تحت سيطرة مملكة أكسوم، وانتقلت بذلك تعاليم يوليوس إلى أكسوم، ومن هناك إلى سوبا في مملكة ألوا. لا يمكن تحديد تاريخ دقيق، لكن من المعقول افتراض أن تعاليم الأفثارودوكسية كانت تنتشر في أكسوم قبل عام 550 ميلادي، وأنها وصلت إلى ألوا قبل وصول لونجينوس إلى هناك. لقد كنا مندهشين قليلاً لاكتشاف هذا الكهف ووجود هذه الصلبان القديمة التي تجاوزت الـ 200 صليب، حيث كان يُعتقد أن اثنين فقط قد تم اكتشافهما من قبل، أحدهما في سوبا والآخر في إخمندي في النوبة السفلى، كما نعلم أيضًا من لونجينوس أن ملك ألوا طلب منه أن يطرد هذه الجماعة المسيحية الهرطقية التي كان رمزها المسيحي هو هذا الصليب (Vantini 1981).)أنظر الشكل 4).

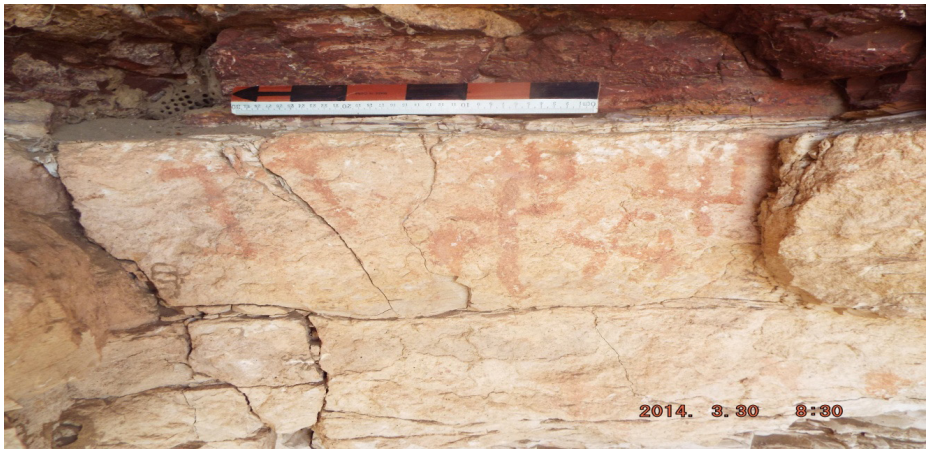

الشكل (4) يوضح الكهف وبداخله رسومات الصلبان

خاتمة:

تمثل نتائج مشروع المحس، الذي انطلق في الموسمين الأول والثاني (1990-1991)، إضافة مهمة لفهم تاريخ المنطقة. في البداية، تم استكمال المسح الأثري للضفة الغربية للنيل من حنك إلى كجبار، وتوسيع العمل ليشمل الضفة الشرقية والجزر، مع تخطيط لتمديده شمالاً حتى جبل سيسى – دلقو. ورغم التحديات التي واجهت المشروع، مثل نقص الخرائط المناسبة، فقد نجح الفريق في تسجيل 120 موقعاً أثرياً (Osman, 2004; Edwards et al., 2012)، مما شكل إنجازاً كبيراً في توثيق التراث الثقافي للمنطقة، بما في ذلك فترات ما قبل التاريخ والعصور الوسطى. تضمن المشروع اكتشاف مواقع تعود للعصور الحجرية والبرونزية والحديدية والعصور الإسلامية المبكرة. من بين هذه الاكتشافات كانت المواقع الأثرية في قريتي نوري ومشكيلا، حيث تم توثيق الكنائس والمباني السكنية التي تعود للمسيحية الأكسومية في نوباتيا، فضلاً عن صلبان أكسومية في جبل نوري التي تقدم أدلة على انتشار المسيحية في المنطقة في وقت مبكر. تعد هذه الاكتشافات خطوة هامة نحو فهم أعمق للتراث النوبي، وقد توفر الأساس لدراسات مستقبلية تشمل جوانب أخرى من التاريخ النوبي القديم، بما في ذلك تأثيرات المسيحية على المنطقة وتفاعلها مع الديانات الأخرى، فضلاً عن التفاعل الثقافي بين نوباتيا والدول المجاورة مثل مصر وبلاد العرب. هذه الاكتشافات تسهم في تعزيز فهمنا لتاريخ الدين والعلاقات السياسية في المحس، وتعد أساساً لدراسات مستقبلية باستخدام تقنيات متقدمة مثل GPS لتحديد المواقع بدقة أكبر.

Bibliography:

(1) Bashir, M., Mamoon, S., & Khaleel, O. (2021). Kedurma Eastern Hinterlands in North Sudan: An archaeological Survey. Der Antike Sudan. Mitteilungen der Sudanarchäologischen Gesellschaft zu Berlin e. V., 32, 29-43.

(2) Bell.H & Hashim M. J 2002. 'Does ate live on in (Kowwa)? Sudan & Nubia 4: 42-6.

(3) Edwards, D. N. (2004). The Nubian past: An archaeology of the Sudan. Routledge.

(4) Edwards, D. N., Osman, A., Fadl Tahir, Y., Mustafa Sadig, A., & Soghayroun el-Zein, I. (2012). On a Nubian frontier—landscapes of settlement on the Third Cataract of the Nile, Sudan. Azania: Archaeological Research in Africa, 47(4), 450-487.

(5) Essien, K., & Falola, T. (2008). Culture and customs of Sudan. Bloomsbury Publishing USA.

(6) Gardiner, A. (1952). Some reflections on the Nauri Decree. The Journal of Egyptian Archaeology, 38(1), 24-33.

(7) Griffith, F. L. (1927). The Abydos Decree of Seti I at Nauri. The Journal of Egyptian Archaeology, 13(1), 193-208.

(8) Haaland, R. (1977). Archaeological classification and ethnic groups: A case study from Sudanese Nubia.

(9) Hashim, M. J. and Bell. h. 2000. 'Reconstructing History of Settlement Pattems in the Mahas evidence from language and place - names'. Sudan & Nubia 4: 71-78.

(10) Hashim, M. J. 2001. 'An orthography for Nobian a Contribution to the Debate'. sudan studies 25; 44-51.

(11) James, W. (2008). Sudan Majorities, minorities and language interactions. Language and national identity in Africa, 61 – 78.

(12) Jok, J. M. (2015). Sudan Race, religión, and violence. Simon and Schuster.

(13) Osman, A. (1990). "Nationalist Archaeology. The case of the Sudan". In Bonnet, Ch. Etudes Nubian's Conference de Geneve. 3-8 September 1990. Voll. Pp. 225-236.

(14) Vantini, G. (1981). Christianity in the Sudan.

المواقع الأثرية في منطقة المقاودة
(إضاءة حول جهود حمايتها من المخاطر البشريّة)

د.عوض شبّا
مركز بحوث ودراسات دول حوض البحر الأحمر - السودان

المستخلص:

هـذه الدراسـة تتنـاول المخاطـر البشريـة والتعديـات عـلى المواقـع الأثريـة في منطقـة المقـاودة، وذلـك بالتركيـز عـلى جانبـين يمثـلان أبـرز ملامـح هـذه المخاطـر عـلى هـذه المواقـع وهـما: التمـدد السـكني والزراعـي، ثـم تقديـم إضـاءة حـول الجهـود الرسـمية والشـعبية في وقـف هـذه التعديـات وحمايـة المواقـع الأثريـة. وخلصـت الدراسـة إلى أن هـذه التعديـات تنحـصر بصـورة أساسـية عـلى الجانبـين المذكوريـن أعـلاه، ولا توجـد مخاطـر أخـري معلومـة مثـل السرقـة أو التهريـب وغيرهـا عـلي هـذه المواقـع، وان المخاطـر البشريـة أكـثر ضرراً عليهـا مـن المخاطـر الطبيعيـة مـن أمطـار وسـيول ورياح ؛ورغـم الجهـود المبذولـة مـن السـلطات الرسـمية المتمثلـة في المجلـس الأعـلى للسـياحة والأثـار بالولايـة الشـمالية بالتعـاون مـع الهيئـة العامـة للآثـار والمتاحـف القوميـة، وشرطـة الآثـار وحمايـة الـتراث القومـي بالولايـة الشـمالية وخاصـة بعـد الحـرب الحاليـة في السـودان، إلا أن هـذه الجهـود في مجملهـا يمكـن وصفهـا بأنهـا حلـول آنيـة تحتـاج لمزيـد مـن تضافـر الجهـود وضرورة توعيـة المواطنـين القاطنـين بجـوار هـذه المواقـع بأهميـة الآثـار وأن حمايتهـا مسـؤولية المجتمـع بـأسره.

الكلمات المفتاحية: المواقع الأثرية، المقاودة، جهود الحماية، المخاطر البشرية

Archaeological sites in the Al-Maqawadah area
(Highlights on efforts to protect it from human risks)

D. Awad Sheba - Center for Research and Studies of the Red Sea Basin Countries - Sudan

Abstract:

This study addressed the human risks and encroachments on archaeological sites in the Al-Maqawadah area in the northern state, by focusing on two aspects that represent the most prominent features of these risks on these sites: residential and agricultural expansion. Then, it provided insights into the official and popular efforts to stop these encroachments and protect the archaeological sites. The study concluded that these violations are mainly limited to the two aspects mentioned above, and there are no other known risks such as theft, smuggling, etc., and that human risks are more harmful to them than natural risks such

as rain, floods, winds, etc., despite the efforts made by the official authorities represented by In the councilThe Supreme Council for Tourism and Antiquities in the Northern State, in cooperation with the General Authority for Antiquities and National Museums, the Antiquities Police, and the protection of national heritage in the state, especially after the current war that broke out in Sudan on April 15, 2023 AD. However, these efforts in their entirety can be described as immediate solutions that require more collaboration and intensification. Efforts and the need to educate citizens living near these sites about the importance of antiquities and that their protection is the responsibility of the entire community.

Keywords: archaeological sites, extermination, northern state, dangers, protection

المقدمة:

وجد موضوع حماية التراث الثقافي والطبيعي إهتماما دولياً كبيراً بعد الحربين العالمية الأولي (1914-1918م) ،والثانية (1939-1945م) نسبة للدمار الذي شملهما نتيجة للحروب، لذا شرعت العديد من المواثيق والاتفاقات الدولية بغرض الحفاظ عليهما؛ وقد واكب السودان هذه التشريعات العالمية لحماية الممتلكات الثقافية، وصدر عام 1905م قانون للآثار في السودان وتم تعديله عام ١٩٥٢م ،وفي عام 1999م صدر قانون جديد للآثار السودانية أنشئت بموجبه الهيئة القومية للآثار والمتاحف السودانية مهمتها حماية المواقع الأثرية والآثار بواسطة مفتشين وضباط آثار وكذلك شرطة حماية الآثار وخفراء الآثار الخ...[1]، وكان لهذه الجهود دور كبير وفاعل في الحماية والمحافظة على المواقع الأثرية، ورغم ذلك فإن المخاطر البشرية والتعديات على المواقع الأثرية مازالت مستمرة ، ونعني في هذه الدراسة بالمخاطر البشرية تلك التى تقع بفعل الإنسان نفسه ولا دخل للطبيعة بها وقد تحدث بقصد ومن دون قصد وقد تتعدد هذه المخاطر البشرية من حروب وثورات، وسرقات ونهب، وتقليد وتهريب الخ...[2].

تكتسب منطقة المقاودة أهميتها التاريخية من موقعها الجغرافي باعتبارها أهم الامتدادات الحضرية لمدينة دنقلا العاصمة القديمة وربما كانت هذه المنطقة أحد مراكز الأسرة الملكية الحاكمة أو مساكنها، وذلك لكثرة دلالات أسماء العائلات ذات الشبه أو الصلة بأسماء ملوك المقرة، فضلاً عن الروايات الشفاهية الشائعة في المنطقة والتي تزعم صلة هذه الأسر بملوك دنقلا والمقرة، كما أن هذه المنطقة- كما بينا – تتميز بكثرة المواقع الأثرية مما يجعلها في المرتبة الثانية بعد دنقلا (مكان العاصمة القديمة) وهذه المواقع تحتاج لدراسات آثارية متأنية، لأنها من المتوقع أن تكشف لنا جوانب مهمة في تاريخ مملكة المقرة للثراء الآثاري والتاريخي لهذه المنطقة. وتتناول هذه الدراسة المخاطر البشرية على المواقع الأثرية بمنطقة المقاودة، والمتمثلة بصورة أساسية على عنصرين، هما:

الأول :التمدد العمراني والسكني وتوابعه من خطوط مياه داخل المواقع الأثرية.

الثاني: إزدياد الرقعة الزراعية وخاصة مشروع جمعية عقبة المقاودة التعاونية الزراعية.

رصدت الدراسة أيضاً الجهود الرسمية والشعبية في وقف التعديات وحماية المواقع الأثرية بواسطة مفتشي وضباط الآثار ، وكذلك شرطة حماية الآثار واللجان والإدارات المحلية بالمنطقة، وتم تقسيم الدراسة إلى المحاور الآتية:

- التعريف بمنطقة المقاودة.
- المواقع الأثرية في منطقة المقاودة.
- جهود حماية المواقع الأثرية.
- خاتمة بالنتائج والتوصيات.

اعتمدت هذه الدراسة على التقارير الرسمية عن المواقع الأثرية في منطقة المقاودة وعلى دراسات المسح الميداني لهذه المواقع، وقد عايش الكاتب معظم هذه التقارير والمسوح بحكم سكنه في المنطقة واهتمامه بتاريخها. والجدير بالذكر هنا فإن هناك روايات محلية تذكر بأن هناك بعثات أجنبية قامت بمسوح أثرية وحفريات محدودة في بعض هذه المواقع الأثرية ولكن نسبة لظروف الحرب لم أتمكن من الحصول تقارير هذه البعثات ولا معرفة ماهي هذه البعثات؟

واخيراً نأمل أن توفق هذه الدراسة في طرح موضوعها بصورة تفيء بالغرض المطلوب. وتلفت نظر المسئولين بأهمية المحافظة على المواقف الأثرية وخاصة في ظل ظروف الحرب الحالية التي تمر بها السودان وحالة النزوح المستمرة التى تشهدها.

التعريف بمنطقة المقاودة:

يعرف القسم الشمالي لمدينة دنقلا عاصمة مملكة المقرة (500 - 1500م) في الفترة الحالية بوحدة دنقلا العجوز الإدارية وتضم عدة قرى على النيل من الجنوب الى الشمال على النحو التالي القدار، المقاودة، كدكول، أمنتقو، ناوا وقرى حوض لتي الى تحيط بهذه القرى من ناحية الشرق في شكل حدوة الحصان، فضلاً عن بعض القرى الصغيرة (الحلّال) والجزر النيلية، وتذخر هذه المنطقة بتاريخ وموروث ثقافي وتراث شفاهي قلما تتوفر في منطقة أخرى في السودان.

في هذا الجزء سنعرَف بمنطقة المقاودة _ النطاق المكاني لمنطقة الدراسة_ وهي اسم القرية النيلية الواقعة إلى الشمال من دنقلا العاصمة القديمة بحوالي (7_10 كم) ومساحة قرية المقاودة مستطيل تمتد طولها بحوالي 6كلم من الجنوب وتحدها قرية القدار إلي الشمال وتحدها قرية كدكول، وبعرض حوالي 4كلم من الغرب نهر النيل ومن الشرق حوض لتي.

تعددت الآراء حول أصل ومعنى كلمة المقاودة، وقد حاول البعض أن يجد لها تفسيراً لغوياً بإعتبار أن أصل هذه الكلمة نوبية دنقلاوية، ولكن من أهم يلاحظ أن من سّمات اللغة النوبية أنها ذات نبَرات مضغوطة يمكن أن يختلف معنى الكلمة بتغيّر نبرة النطق، ويرجح الكاتب من خلال تتبعه لاسم المقاودة أنها من الأسماء القديمة وفي الغالب اسم لمجموعة سكانية انتشرت في شرق السودان وعلي ضفاف نهر عطبرة ونهر النيل.

يعتبر النظام الاجتماعي والاقتصادي في هذه المنطقة امتداد للبنية الاجتماعية والاقتصادية لمملكة المقرة في بعض جوانبها منها نظام الأسرة الممتدة وهي من أهم الأُسس التي قامت عليها المنّظُومة الاجتماعية وهي مستمرة في المنطقة إلى اليوم، دور المرأة مهم في استمرار هذا النظام الذي حافظ على الهوية الثقافية النوبية وأحدثت المؤثرات الإسلامية والعربية من الناحية السلالية والثقافة تغيرات في نظام النسب، فتحول من النظام الأمّومي إلى النظام الأبوي تكون، على أثره ما يعرف اليوم بمجموعة بالدناقلة. وهي المكوَن الأساسي للتركيبة السكانية للمنطقة في الوقت الحالي لقرية المقاودة ، وهم أصحاب الأراضي والسواقي، وتعتبر من أكبر المجموعات رغم هجرة معظمهم إلى المدن الكبيرة في السودان ودول الخليج وغيرها، ويمثل غالبيتهم المقاودري الذين ينقسمون إلى عدة أسر ، والملاحظ أن هذه الأُسر ترتبط مع بعضها من ناحية النسب وأغلبها نسب من جهة الأم، وخاصة مع السكان الأصليين المقاودري، علماً أن عدد من هذه الأسر قدمت إلى المنطقة في شكل أفراد أو جماعات من مناطق ومكونات مختلفة ما بين الشلالين الثالث والرابع. والملاحظ أيضاً في المجموعات التي استقرت في منطقة المقاودة أنها تميزت بسرعة اندماجها في مجتمع المقاودة، وذلك يرجع في تقديري إلى الاحتكاك الثقافي الطويل وتمثلها للثقافة النوبية.

من خلال هذا العرض لمكوّنات التركيبة السكانية والاجتماعية لمنطقة الدراسة، ومن الملاحظة والمعايشة يمكن نحدد الملامح العامة لخصائص هذا المجتمع في النقاط التالية:

أولاً: المحافظة بصورة كبيرة على نظام الأسرة الممتدة والتأكيد على الدور الكبير للمرأة داخل الأسرة الصغيرة والمجتمع المستمد من اهتمامها بتربية الأطفال وادارة شئون المنزل، والمشاركة الفاعلة في الإنتاج.

ثانياً: وجود تقسيم طبقي أو تفاوت اجتماعي لا يلاحظه القادم من الخارج، ولا يطفو على السطح في المعاملات والمجاملات، ولكن يمكن نلمس ذلك في أمرين هما الزواج و امتلاك الأراضي الزراعية على النيل، ويبدو أن هناك تشكل جديد للمجتمع في المنطقة في الفترة الأخيرة وذلك بسبب التزاوج واستيعاب العناصر الأخرى تدريجياً.

ثالثاً: الزراعة ويبدو أن هذه المهنة خلقت نوعاً من الاستقرار الاجتماعي وساهمت في المحافظة على الموروث الثقافي وعلى العنصر السكاني، إلى جانب مصادر اقتصادية، أخرى مثل التجارة والاغتراب والوظائف الحكومية، ومعلوم أن الأراضي الزراعية في شمال السودان مقسمة إلى سواقي تتراوح مساحتها ما بين أربعة أفدنة إلى إثني عشر فدان للساقية في المتوسط ، وملكية الساقية في الغالب للأسرة الواحدة يتم توارثها على مدى أجيال متعاقبة، وبعد ظهور الطلمبات الزراعية قامت ثلاث مشاريع بالمنطقة وهي:

الأول: مشروع جمعية المقاودة التعاونية الزراعية، تأسس عام 1949م _وتضم الي جانب السواقي الأملاك حوض الكرواد الزراعي _وتبلغ مساحته حوالي 600 فدان. وكانت الجمعية التعاونية في البداية شراكة مع قرية كدكول وعرب حاج بمبادرة من أبناء اهذه القري بمصر كفكرة منذ عام 1943م، وفي فترة لاحقة مابين تم فض الشراكة بين القريتين وتسجيل جمعية المقاودة الزراعية التعاونية عام 1952م.

الثاني: مشروع شركة الألو الزراعية، وهي من المشاريع القديمة، وكانت في الأصل مشاريع خاصة ثم توحدت في مشروع واحد بعد تأسيس الشركة في ستينات القرن الماضي ، وتبلغ مساحتها حوالي 250 فدان، وتقع الألو (جزيرة) في الضفة الغربية للنيل وتتبع لقرية المقاودة الواقعة شرق النيل، حيث تشير روايات كبار السن في المنطقة أن جزيرة الألو كانت في الأصل متاخمة للضفة الشرقية للنيل ثم تحول للضفة الغربية مع تحول مجيء النيل شرقاً.وهي ما تعرف حالياً بسواقي عقبة المقاودة.

الثالث: شركة عقبة المقاودة الزراعية المحدودة والتي تأسست كشركة مساهمة لسكان المنطقة عام (1987م) في مساحة تقدر بحوالي (1500 فدان)، وموقع المشروع شرق القرية، وكان هذا المشروع مقترحاً منذ عام (1968م) كإمتداد لمشروع جمعية المقاودة التعاونية.ثم تحولت عام 2021م الي جمعية تعاونية زراعية بنفس المساهمين. ومن المزروعات في هذه المشاريع المحاصيل الزراعية أهمها الفول المصري والقمح والأعلاف، إلى جانب أشجار النخيل والموالح، علماً بأنه تم ربط هذه المشاريع بالشبكة القومية للكهرباء في السنوات الأخيرة.

رابعاً: من المؤثرات المهمة على مجتمع المقاودة الهجرات من المنطقة إلى المدن، والتعليم والذي بدأ منذ فترة مبكرة حيث كانت المؤسسة الدينية هي رائدة التعليم والمتمثلة في الخلاوي، ، وفي الفترة التالية لها ظهرت المدارس النظامية بعد الاستقلال من الحكم الإنجليزي المصري عام (1956م)، وكانت أول مدرسة نظامية في القرية هي مدرسة المقاودة الابتدائية المختلطة تم افتتاحها بصورة رسمية عام 1964م، ومع تزايد عدد السكان في المنطقة أنشئت مدرسة أساسية أخرى مختلطة بجنوب القرية (جقوب) عام 1993م، ثم تم فصل البنات من المدرسة القديمة وأنشئت مدرسة خاصة بالبنات سنة (1997م) بالقرب منها. وفي عام 2019م تم إفتتاح مدرسة المقاودة الثانوية للبنات، وتم بنائها بالجهد الشعبي كما تم التصديق في العام 2021م بمدرستي متوسطة بنين وبنات والدراسة بهما مستمرة وذلك وفقاً لسياسات لوزارة التربية والتوجيه، وكذلك تم التصديق لمدرسة ثانوية للبنين وتم تشييدها وأفتتاحها في نفس العام بتضافر الجهدين الشعبي والحكومي قي نفس العام(3).

أهم المواقع الأثرية في المقاودة:

تتميز منطقة المقاودة بالعديد من المواقع الأثرية التي تحتاج للدراسات والتنقيب ، وتعتبر من أكثر المناطق الأثرية ثراءً وتنوعاً في السودان حيث تشمل أثار معظم الفترات التاريخية من العصور الحجرية وحتى الفترة الإسلامية وتشكل أثار الفترة المسيحية الجزء الأكبر ، وهناك سمة أخري لهذه المواقع قل أن توجد في باقي المواقع الأخري وهي وجود مظاهر الاستمرارية السكانية لهذه المواقع. وسنورد في هذا الجزء الدراسة الوصفية لبعض هذه المواقع والتي قام بها أحمد حسين عبد الرحمن_ وكنت مرافقاً له في هذه الدراسة_، في صيف عام 2007م، للإيفاء بمتطلبات درجة الدكتوراة في الآثار، جامعة الخرطوم، مع بعض الإضافات التي لاحظتها في هذه المواقع، وهي:

موقع رقم (1)(«546 42َ 18Ù N 19َ 210» - 30È):

يقع في منتصف قرية المقاودة وتحده المنازل من كافة الجهات ويبعد حوالي (700م) من النيل، والموقع عبارة عن تل متوسط الإرتفاع توجد في أعلى الجزء الشرقي منه بعض الأساسات من الطوب المحروق والطوب اللبن، كما تغطي سطحه مجموعة من قطع الفخار المسيحي والإسلامي وبعض قطع البلاستر والطوب الأحمر بأحجام صغيرة، وفي الركن الشمالي الغربي من التل توجد بعض المقابر إلا أنها غير واضحة تماماً حيث ظهر بعضها من خلال جرف التراب من سطح الموقع بواسطة السكان ممّا أدى الى التعرف على بعض المدافن المسيحية، وقد كانت بعض الهياكل بحالة سيئة جداً نتيجة للجرف المستمر لسطح الموقع، كما وجدت مدافن أخرى الى الشرق من الموقع عرفت إحداها محلياً بمقبرة الصحابي(12.

موقع رقم (2) («457 42َ 18Ù N 18َ 984» - 30È):

يقع جنوب الموقع رقم (1) وهو عبارة عن تلال متوسطة الارتفاع متصلة ببعضها تمتد لمسافة تزيد عن (1000م)، وتوجد بالموقع مجموعة من الأساسات الطينية في شكل غرف وحوائط ممتدة يبدو أنها فواصل بين وحدات المبنى وقد وجدت بينها على مسافات شبه منتظمة بعض الدعامات من الطوب المحروق.

تغطي سطح الموقع أشكال متعددة من قطع الفخار المسيحي وتعتبر من أجود الأنواع المكتشفة في المنطقة من حيث اللون ودرجة الصقل والزخرفة، ومن خلال القراءة الأولية للموقع يبدو أنه مكان لصنع الفخار حيث وجدت بعض آثار الحرق والرماد على سطح الموقع وفي أعماق قريبة جداً من سطح الأرض، كما وجدت أدوات الطحن العليا والسفلى بكثافة عالية، وفي أحد المنازل الواقعة غرب الموقع مباشرة وجدت حوالي (17) آنية فخارية وقطعه من أثافي قدر الطبخ بأحجام صغيرة داخل إحدى الجرار الكبيرة وهي مستخدمة حتى الآن كما وجدت آثار للحرق والرماد داخل غرف صغيرة مشيدة بالطوب اللبن والجالوص بالمنزل.

موقع رقم (3) («473 42َ 18Ù N 18َ 184» - 30È):

يقع في الطرف الجنوبي لقرية المقاودة على بعد (550م) عن النيل وهو عبارة عن تل مرتفع جداً يمتد لحوالي (990م) حيث تشمل هذه المنطقة حوالي (8) مواقع وتغطي سطحه مجموعة من كسارة الطوب الأحمر وقطع الفخار المسيحي وأدوات الطحن خاصة العليا، كما توجد أساسات لمبنى من الطوب اللبن وبعض قطع الطوب الأحمر، كذلك وجدت بعض قطع العظام الحيوانية والأسماك على سطح الموقع.

موقع رقم (4) («570 42َ 18Ù N 18َ 007» -30È):

يقع جنوب الموقع رقم (3) ويتكون من مجموعة تلال مرتفعة جداً تمتد لحوالي (1900م) (شمال – جنوب) ويعتبر من أكبر المواقع بالمنطقة، توجد بالموقع العديد من أساسات المباني التي تمتد لمسافات طويلة في شكل غرف صغيرة جداً (2 × 2) وأخرى أكبر بقليل وقد شيدت بالطوب اللبن وبعض قطع الطوب المحروق.

تغطي سطح الموقع أعداد كبيرة من قطع الفخار المسيحي المصنوع بالعجلة وآخر يدوي بأشكال وأحجام مختلفة، كما توجد آثار الحرق والرماد بالموقع بالإضافة إلى الانتشار الكثيف لكسارة الطوب الأحمر، كذلك وجدت أعداد كبيرة من أدوات الطحن.

موقع رقم (5) («870 َ42 18ْN «017 َ18 30ْE -):

يقع على بعد (500م) شرق الموقع رقم (4) ويتكون الموقع من مجموعة من المدافن المسيحية والإسلامية وتعرف بمدافن همبوك فوك والتي تظهر من خلال اتجاه الدفن المعروف في الفترتين، كما توجد أشكال أخرى من الدفن تتجه من الجنوب الشرقي إلى الشمال الغربي، وقد تلاحظ أن المدافن توجد على سطح أرض منخفضة جداً ولا تظهر أي أشكال خارجية واضحة للمقابر حيث تم تمييزها فقط من خلال بعض الشواهد وقطع الفخار المستخدمة حول المدفن والتي يبدو أنها جلبت من الموقع رقم (4) القريب جداً من المقبرة.

من خلال طرق الدفن بالموقع فربما مثل مرحلة الانتقال من المسيحية للإسلام، خاصة وأن المجتمع النوبي لم يكن على دراية كاملة بطرق الدفن الإسلامية في تلك الفترة المبكرة.

موقع رقم (6) («999 َ42 18ْN «390 َ18 30ْE -):

يقع إلى الشرق من الموقع رقم (2) على بعد (1.7 كلم) وهو عبارة عن قبة ذات شكل مخروطي شيدت من الطوب المحروق لارتفاع (2 3- م) بينما شيد الجزء الأعلى من الطوب اللبن، ولها مدخل يفتح باتجاه الجنوب وتحيط بالقبة مجموعة من المدافن الإسلامية وأخرى غير معروفة، وتعرف هذه القبة محلياً بقبة شيخ السين(صورة ، رقم (2))، كما توجد إلى الشمال قليلاً مجموعة من الأشكال (المدافن) الدائرية يصل قطرها ما بين (8 – 10م) وتحيط بها قطع صغيرة من الأدوات الحجرية خاصة الأنوية وبعض الشظايا والتي توجد في الإطار الخارجي لهذه الأشكال بينما تنعدم في الوسط، وقد تلاحظ استخدام أنواع متعددة من الفخار المسيحي والإسلامي وآخر غير معروف، تم طلاء الجزء الأعلى من الداخل بالملاط. وتوجد إلى الشمال الغربي من هذه القبة قبة أخرى تعرف محلياً بقبة شيخ عدلان ود بري وهي ذات شكل مخروطي وقد بنيت من الطوب اللبن بينما استخدم الطوب المحروق في أساساتها وقد بلغ ارتفاع القبة حوالي (6م) بينما محيطها (22م)، ولها مدخل يتجه نحو الجنوب ارتفاعه (120سم) وعرضه (70) وسمكه (190سم)، طليت القبة من الداخل بالملاط المكون من روث الحيوانات وبعض الرمال، ويلاحظ الانتشار الكثيف للفخار المسيحي بالموقع من قليل من الفخار الإسلامي، كما توجد بعض المدافن ذات الشكل الدائري بجانب المدافن الإسلامية العادية والتي توجد بها أشكال عديدة، كذلك تلاحظ وجود بعض الأساسات بالموقع من الطوب المحروق تمتد في المنطقة الواقعة بين القبتين (صورة ، رقم (3).

قد تلاحظ أن الدفن قد توقف حول قبة شيخ الزين بينما لا تزال مقبرة شيخ عدلان مستخدمة من قبل سكان منطقة المقاودة وبعض القرى المجاورة.

صورة توضح قبة شيخ الس(ز)ين

صورة توضح قبة عدلان ود بري

وهناك مواقع أخرى ولعلها من أكثر المواقع الأثرية ارتفاعاً وأكبرها حجماً في المنطقة، وتقع إلى الجنوب من الموقع (4) على بعد حوالي (2كم) في الجنوب، وهذا الموقع عبارة عن تل ضخم ومرتفع جداً تمتد لحوالي كلم شمال جنوب والى الغرب منه مباشرة أساسات من الطوب الأحمر (20 × 30 سم) ويرجح أن هذا المبنى كان قلعة أو حصن مطل على النيل،وإلى الشمال الشرقي من الموقع توجد مدافن قديمة، وأخرى حديثة ومازالت مستخدمة وتعرف انباب ساتي. ومن المواقع المشهورة والمتداولة في الروايات الشفهية في منطقة المقاودة قصر (دب) شبّة الكبير (دول) بمصر الجديدة، شرق سوق الاثنين، ولكن معالم هذا القصر غير موجودة أو ربما تم ازالتها من قبل السكان، ويلاحظ أن الذين أقاموا مساكنهم في مكان الموقع يجدون بعض الأثاثات المنزلية بين وقت لآخر من بينها جو(Go) رحاية لحطن الحبوب(23). ومن الملاحظات المهمة التي يجب على الآثاريين دراستها بعناية كثرة المدافن وتنوعها في هذه المنطقة ففي شرق كل موقع من المواقع المذكورة نجد عدد من المدافن، وتشير الروايات الشفهية إلى أن معظم هذه المدافن كانت مخصصة للأسر مثل مدافن همبوك فوك لأسرة شامبي ومدافن شيخ السين (حسين) لسكان الألو)، وأضيف هنا أن عدد من المدافن المسيحية مستطيلة الشكل (1 × 2م) مبنية بالطوب الأحمر (17 × 24م) ظهرت مع جرف الرياح للتربة صيف عام 2014م في المنخفض شرق الموقع مباشرة(4).

جهود حماية المواقع الأثرية:

شاهدنا في منطقة المقاودة ونحن أطفال وجود علامات (يافطات) توضح المواقع الأثرية ولكن هذه العلامات اختفت منذ ما يقارب الربع قرن من الزمان تقريباً، كما توجود علامات من صخور ضخمة في المواقع الأثرية ، ومازالت موجودة حتى الآن ، وتشير روايات كبار السن أن هذه الصخور وضعها الأنجليز (ربما يقصدون البعثات الأجنبية) لتحديد المواقع الأثرية، وتتحدث روايات أخري عن وجود طرق معبدة بالردميات تربط بين المواقع الأثرية ولكنها اندثرت الآن. وبعد فيضانات عام 1988م انتقل السكان الذين كانوا يقنطنون في الجزر وبالقرب من النيل إلي المناطق المرتفعة القريبة من المواقع الأثرية ، وبدأ تدريجياً التغول على المواقع الأثرية، وغالباً ماكان يجد السكان أثناء عمليات حفر أساسات المنازل مدافن قديمة بعضها مبنية في شكل غرف صغيرة، سقنا هذه التوطئة كمدخل لمناقشة موضوع التعديات على المواقع الأثرية وجهود حمايتها ، وقسمناها إلى :

التعديات السكنية:

أول تعدي واضح حدث بالموقع الأثري رقم (1) بغرض تشييد منزل ، وتم فتح بلاغ ضد المعتدي من خفير الموقع بموجب قانون الأثار لعام 1999م ، وصدر حكم ضد المعتدي بالحبس لمدة ثلاثة شهور وبالغرامة والإزالة من محكمة دنقلا العجوز الجزئية بتاريخ 18/12/2004م(5).

بتاريخ 31/1/ 2021م تم زيارة فريق من الهيئة العامة للمتاحف للموقع رقم (2)، إثر بلاغ مقدم من شرطة الآثار وحماية التراث القومي بالتعدي على الموقع ؛ وجاء في تقرير الفريق أن المنزل القديم للمواطن المذكور أعلاه يتوسط الموقع الأثري وهو عبارة عن تلتين ينتشر علي سطحها كسارة الفخار والطوب الأحمر المحروق. كذلك وجدنا المباني الإضافية الجديدة شارفت علي النهاية. مما يؤ كد ان التبليغ عن هذا التعدي كان متأخراً. وتلاحظ من خلال المعاينة والمسح الأثري بأن السور الذي تم بناؤه علي الناحية الشمالية كان أكثر تأثيراً من المبني الذي تمت إضافته علي الناحية الجنوبية، حيث أصبح السور الشمالي يقع عند الكومة الأثرية أكثر خطورة علي الموقع وسوف يظهر ذلك في المستقبل عند القيام بحفريات آثارية بالموقع. اما الجزء الجنوبي فهو أقل خطورة ، وتم تبليغ المواطن بتعديه علي الموقع الأثري بعد إضافته المباني الجديدة الملحقة بالمنزل والتي تقع علي الناحيتين الشمالية والجنوبية وتعهد بإستخدامها للأغراض الإضافية غير السكنية وأن يقوم بإزالتها متي ما طلب منه ذلك دون قيد أو شرط او أي تعويض مالي(6). وتمت زيارة ثانية للموقع دون كتابة تاريخ الزيارة في التقرير ، جاء فيه وصف للموقع:(الموقع عبارة عن منطقة مرتفعة ينتشر علي سطحها كميات كبيرة من كسارة الفخار والقليل من الادوات الحجرية ويحده من ناحية الغرب و الشمال والجنوب مبانين ومن الناحية الشرقية تحده مقابر المقاودة. وتلاحظ ان جزء كبير من هذه المقابر توجد كميات كبيرة من كسارة الفخار، هذا فضلاً عن وجود قبة إسلامية لأحد مشايخ المنطقة. تم إجراء مسح آثاري للموقع لتحديد مساحته وحدوده ومن ثم عمل خارطة كروكية له.

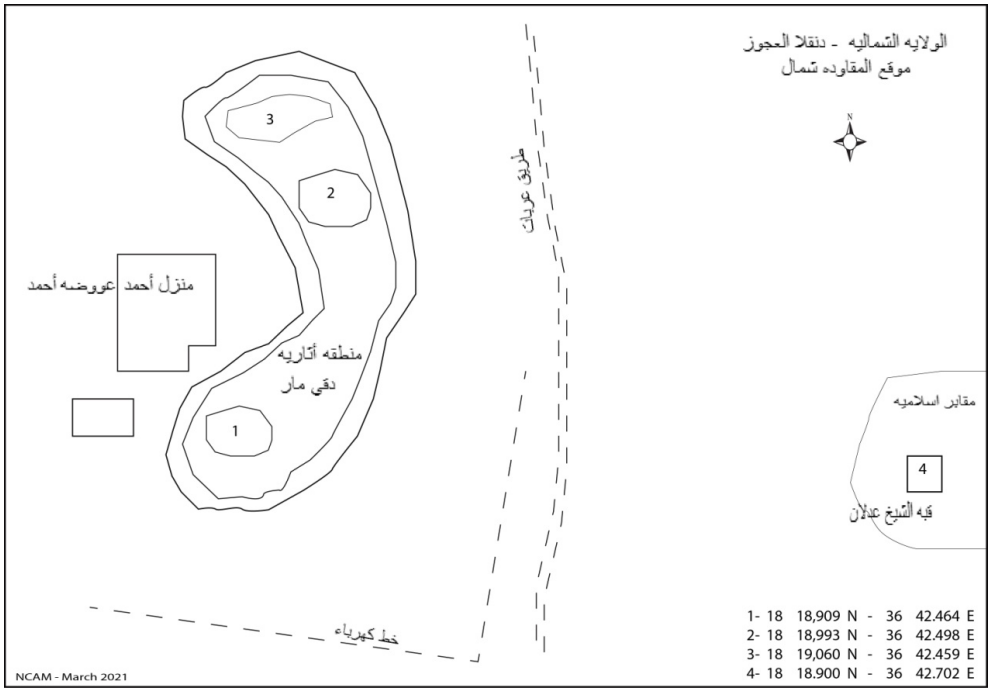

خارطة كروكية توضح الموقع الأثري بالمقاودة شمال

في جنوب الموقع رقم (1) منعت شرطة الآثار وحماية التراث القومي المواطن يوسف عبد السلطان من تشييد منزله للإشتباه بإن المنزل داخل الموقع الآثاري، وتم رفع الأمر للجهات المختصة، وتمت زيارة للموقع من مفتشى الآثار من الولاية والهيئة العامة للآثار وعمل حفريات إختبارية والإفادة بتاريخ 10/1/2024م بأن موقع المنزل المذكور خالي من الآثار ولا مانع من بناءه(7).

بعد نزوح عدد كبير من الأهالي من ولاية الخرطوم والجزيرة بسبب الحرب واقامتهم في منطقة المقاودة تزايد الطلب على الأراضي السكنية خاطب السيد / رئيس اللجنة التسييرية بالمقاودة الأمين العام للمجلس الأعلى للسياحة والآثار بخصوص توطين الوافدين بالمنطقة وتحديد المواقع الأثرية في موقع المقاودة شمال (موقع رقم (1)) وذلك بتاريخ 7/7/2024م(8) ، وبموجب هذا الطلب وجه بتكوين فريق من وحدة الآثار بالولاية الشمالية لزيارة الموقع المذكور ، وقامت بتحديد الموقع الأثري بعلامات واضحة على الجهات الأربعة ، وسمحت بتوزيع الأراضي السكنية حول الموقع بتاريخ 18/8/2024م(9) .

التعديات الزراعية:

تقع أرض مشروع جمعية عقبة المقاودة التعاونية الزراعية على امتداد القرية من الناحية الشرقية بين النيل وحوض لتى، ويحدها من ناحية الشمال قرية كدكول ومن ناحية الشرق قرية لتي قسم٤ ومن ناحية الجنوب قرية القدار، (أنظر: خريطة رقم1) وبذلك تحادد المواقع الأثرية

من الناحية الشرقية بل توجد داخلها عدد من المواقع. أما من ناحية التكوين الجيلوجي لتربة المشروع فقد أشارت دراسة الفحص تقييم أن الجيولوجيا الصلبة للمنطقة أساساً من تكوينات الحجر الرملي النوبي والترسبات القارية التي تحوي على الحجر الرملي والحجر السلتى وتتبع للعصر الكواتيرنري تبرز للسطح أو تكون تحته وتتبع للعصر الطباشيري، ويغذى الحجر الرملي النوبي من ترسبات مياه الأمطار البسيطة ومن ترسبات الخيران والأودية [10].

من جانب آخر تزعم بعض الروايات بأن عقبة المقاودة كانت جزء من امتداد حوض لتى قبل حفر الترعة الحالية في فترة الاستعمار الإنجليزي قبل عام١٩٠٥م، وهذا الحوض من السهول الفيضية في إقليم دنقلا التي كانت تغمرها مياه النيل أثناء الفيضانات قديما، وقد تكون هذه الرواية أقرب إلي الحقيقة في الشريط الشرقي من مشروع العقبة لوجود بقايا أثرية تعود للعصور الحجرية وفقاً للمسح الأثري الذي أجري على أرض المشروع في شهر أكتوبر من العام(٢٠٢٢م)، وفي الغالب كانت المواقع الاستيطانية لتلك الفترات قريبة من مصادر المياه، كما أن طبيعة تركيبة التربة توحي بذلك، وإن لم تجرى بعد دراسات علمية حاسمة. أما الجهة الغربية من العقبة تذخر بالمدافن التي ترجع لمختلف الفترات التاريخية، ومن الراجح أنها كانت خاصة بالمستوطنات البشرية المنتشرة في المنطقة في شكل قلاع أثرية، وتعود معظمها إلي الفترة المسيحية وسكان الجزر النيلية، ومازال الدفن مستمرا في هذه المواقع والمتمثلة في جبانة شيخ عدلان ود برى وأنباب ساتى [11].

خريطة جوية لمشروع جمعية عقبة المقاودة التعاونية الزراعية

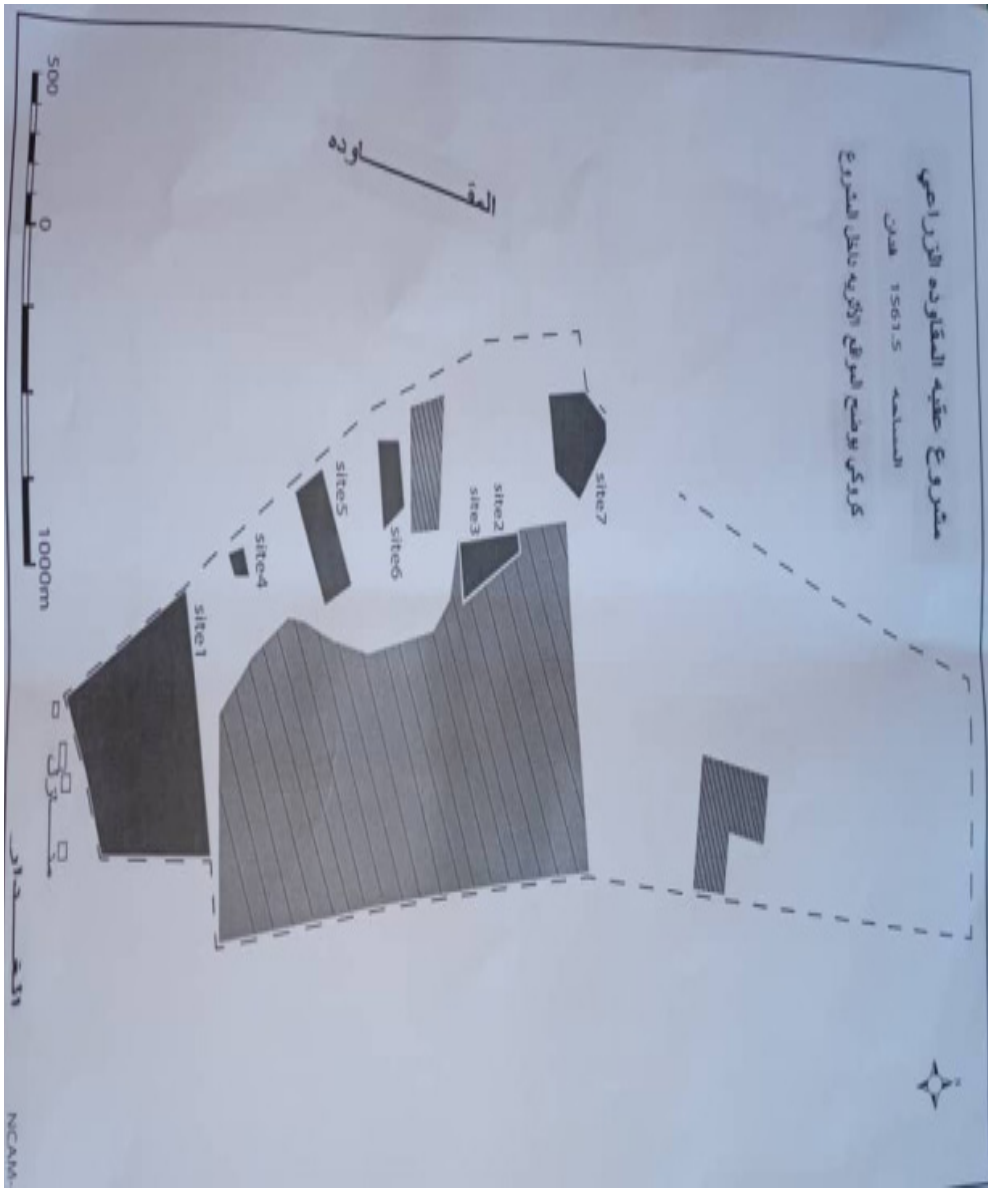

خريطة للموقع الأثرية داخل مشروع جمعية عقبة المقاودة التعاونية الزراعية

الخاتمة:

مـن خـلال عرضنـا في هـذه الورقـة للمخاطـر البشريـة التـى تتعـرض لهـا المواقـع الأثريـة في منطقـة المقـاودة ، يمكـن حصرهـا في عنصريـن أساسـيين ؛هـما:

الأول: التمـدد العمـراني والسـكني ومايصاحبـه مـن خطـوط الميـاه عـلى حسـاب المواقـع الأثريـة وخاصـة بعـد نـزوح جماعـي للأهـالي مـن ولايتـي الخرطـوم والجزيـرة والعـودة لمناطقهـم الأصليـة بسـبب

الحرب الحالية في السودان.

الثاني: التوسع الزراعي في المنطقة والمتمثل في مشروع جمعية عقبة المقاودة التعاونية الزراعية المتاخم للمواقع الأثرية من الناحية الشرقية كما يقع داخل المشروع نفسه عدد من المواقع الأثرية. إضافة لزراعة أشجار النخيل والظل حول المنازل القريبة من المواقع الأثرية مما قد يؤثر عليها مستقبلاً.

إن المحافظة على المواقع الأثرية مستقبلاً مع الجهود الرسمية والشعبية المبذولة حالياً ، والتى نجحت إلى حد كبير في تقديم حلول مؤقتة ولكنها غير نهائية ، وللمساهمة في هذه الجهود نقدم التوصيات الآتية:

1. ضرورة توعية المواطنين القاطنين بجوار هذه المواقع الأثرية بأهمية المحافظة على الآثار والتي تعتبر ثروة قومية.
2. عمل خرطة آثارية للمواقع الأثرية وتمليكها للجهات المختصة الرسمية والأهلية.
3. وضع علامات توضح حدود المواقع الأثرية بالمنطقة وعمل سور للحماية إن أمكن.
4. إجراء مزيد من المسوح الأثرية في هذه المواقع، مع أهمية وضع خطة جادة لعمليات التنقيب الأثري مستقبلاً.
5. الاستعانة باللجان المحلية للتعرف على أسماء المتعدين على المواقع الأثرية لأن هناك أخطاء في بعض الأسماء الواردة في التقارير الرسمية.
6. أن تتم المعالجات المعتدين على المواقع الأثرية
7. في إطار النظم التقليدية في المنطقة لأن استخدام سلطة القانون مباشرة يولد نوع من الغبن الاجتماعي.

المصادر والمراجع:

(1) عبدالرحيم محمد خبير ، التشريعات القانونية للآثار السودانية: قراءة في قانون الآثار الوطنى للعام1999م على ضوء القوانين الدولية، مجلة القلزم العلمية للدراسات السياحية والآثارية ، تصدر عن مركز بحوث ودراسات دول حوض البحر الأحمر بالشراكة مع جامعة شندى -السودان، ع18، مارس2024م، ص7-17.

(2) زين العابدين محمد الهمامي ، محاضرات في قانون حماية الآثار والتراث الثقافي ، (كلية القانون ،جامعة سوهاج، العام الدراسى 1245هـ/2023م)،ص56.

(3) لمزيد من التفاصيل راجع: عوض شبّا، الزعيم عبدالكريم عبد الجبار _ إتكاءة في التاريخ الاجتماعي النوبي الحديث، (الخرطوم : دار أرثيريا للنشر والتوزيع، 2021م).

(4) نفس المرجع.

(5) ملحق رقم (1).

(6) ملحق رقم (2).

(7) ملحق رقم (3)

(8) ملحق رقم (4)

(9) ملحق رقم (5).

(10) لمزيد من التفاصيل راجع: عوض شبّا، جمعية عقبة المقاودة التعاونية الزراعية، (الخرطوم: دار آرثيريا للنشر والتوزيع ،2024م).

(11) نفس المرجع.

الملاحق:

ملحق رقم (1)

صورة الاستئناف المقدم في حكم محكمة دنقلا العجوز الجزئية

بسم الله الرحمن الرحيم

التاريخ: 5/2/2021م

السيد / مدير عام الهيئة

بواسطة/ السيد/ أمين أمانة الآثار

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الموضوع/ الزيارة الميدانية لمنزل المواطن / محمد عبدالمنعم عبدالجبار محمد بمنطقة المقاودة شمال منطقة دنقلا العجوز

بخصوص الموضوع اعلاه وبناءا علي المعلومات والبلاغ المقدم من مساعد شرطة/ محمدإبراهيم المشرف علي المواقع الاثرية بوحدة دنقلا العجوز الإدارية، وبالتنسيق مع الزميل/ مرتضي بشارة مدير مكتب الآثار الإقليمي بالولاية الشمالية. نفيد سيادتكم بأنه في يوم الأحد الموافق 31/1/2021م تمت زيارة لمنقطة المقاودة، وذلك للوقوف علي التعدي علي الموقع الاثري من قبل المواطن لمذكور اعلاه وشارك في الزيارة الأولي كل من الآتية أسماؤهم:-

مفتش آثار/ فخري حسن عبدالله حسن ---- الهيئة العامة للآثار والمتاحف ومفتش بعثة آثار المركز البولندي العاملة بموقع دنقلا العجوز.

زاكي الدين محمود محمد بابكر ------ عضو بعثة آثار المركز البولندي العاملة بموقع دنقلا العجوز ومفتش آثار متعاون سابق لدي الهيئة العامة للآثار والمتاحف.

مساعد شرطة / محمد إبراهيم مشرف المواقع الأثرية بوحدة دنقلا العجوز الإدارية.

مساعد شرطة / عوض حسن إبراهيم بابكر------ شرطة السياحة وتأمين التراث القومي مكتب دنقلا العجوز.

تفاصيل البلاغ:-

قام المواطن المذكور اعلاه بإضافة مباني جديدة من الطوب الاخضر تقع الناحيتين الشمالية وتقدر مساحتها بنحو (1250) متر مربع وكان يستخدم هذا الجزء زريبة للماشية الخاصة به|ومطوقة بسور من الطين اللبن لم يكن منتظم. والجديد في الامر انه قام بإعادة بناء هذا السور بصورة منتظمة وواضحة المعالم. وعلي الناحية الجنوبية تقدر المساحة بنحو(300) متر مربع. والجدير بالذكر ان المنزل القديم للمواطن المذكور أعلاه يتوسط الموقع الأثري وهو عبارة عن تلتين ينتشر على سطحها كسارة الفخار والطوب الأحمر المحروق. كذلك وجدنا المباني الإضافية الجديدة شارفت على النهاية. مما يؤ كد ان التبليغ عن هذا التعدي كان متأخراً.

عليه نفيد سيادتكم بأنه بعد القيام بالمعاينة الميدانية وإجراء المسح الأثري تلاحظ ان

السور الذي تم بناؤه علي الناحية الشمالية كان أكثر تأثيراً من المبني الذي تمت إضافته علي الناحية الجنوبية، حيث أصبح السور الشمالي يقع عند الكومية الأثرية أكثر خطورة علي الموقع وسوف يظهر ذلك في المستقبل عند القيام بحفريات آثارية بالموقع. اما الجزء الجنوبي فهو اقل خطورة وذلك حسب بعدة من الكومة الجنتوبية من على السطح.

الإجراءات:-

تم تبليغه بتعدية علي الموقع الأثري بعد إضافته المباني الجديدة الملحقة بالمنزل والتي تقع علي الناحيتين الشمالية والجنوبية وتعهد بإستخدامها للأغراض الإضافية غير السكنية وأن يقوم بإذالتها متي ما طلب منه ذلك دون قيد أو شرط او أي تعويض مالي.

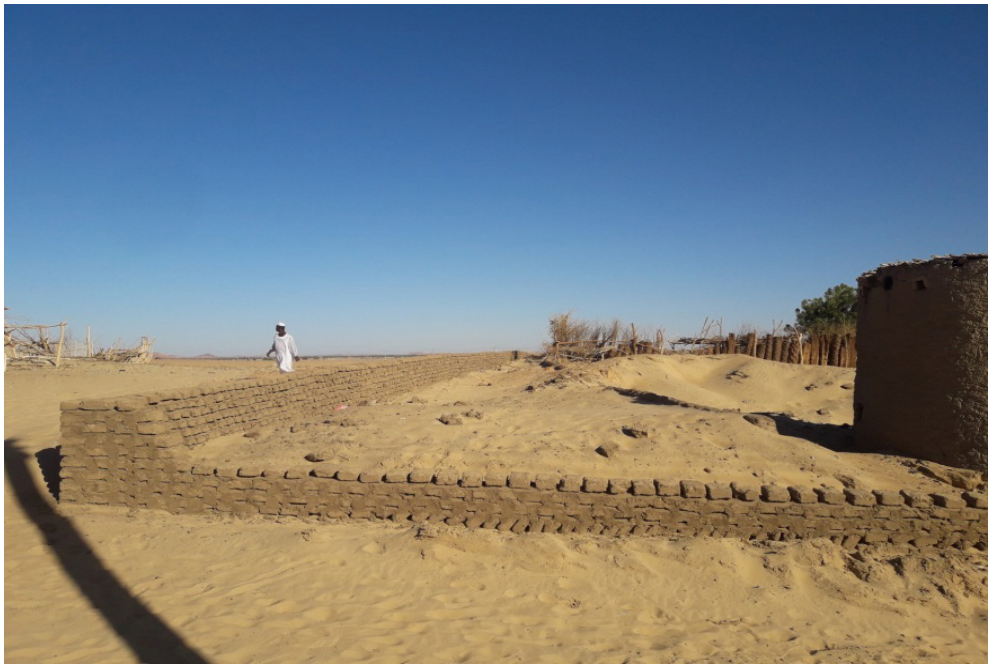

الصور أعلاه: توضح مبنى السور الإضافي على الناحية الشمالية وجنوب الموقع الأثري

الصور أعلاه: توضح البناء الإضافي الجنوبي من المنزل وشمال الموقع الأثري

ملحق رقم(2)

صورة من تقرير الزيارة الأولي لفريق الهيئة العامة للآثار والمتاحف للموقع رقم(2)

الزيارة الثانية:

كانت الزيارة الثانية في يوم ..... الموافق ..... وضمت كل من الآتية أسماؤهم:-

م. مساحة/ يسن محمد سعيد.

مفتش آثار/ فخري حسن عبدالله.

فرد من شرطة السياحة وتأمين التراث القومي – مكتب دنقلا العجوز.

الموقع عبارة عن منطقة مرتفعة ينتشر علي سطحها كميات كبيرة من كسارة الفخار والقليل من الادوات الحجرية ويحده من ناحية الغرب و الشمال والجنوب مبانين ومن الناحية الشرقية تحده مقابر المقاودة. وتلاحظ ان جزء كبير من هذه المقابر توجد كميات كبيرة من كسارة الفخار، هذا فضلاً عن وجود قبة إسلامية لأحد مشايخ المنطقة. تم إجراء مسح آثاري للموقع لتحديد مساحته وحدوده ومن ثم عمل خارطة كروكية له.

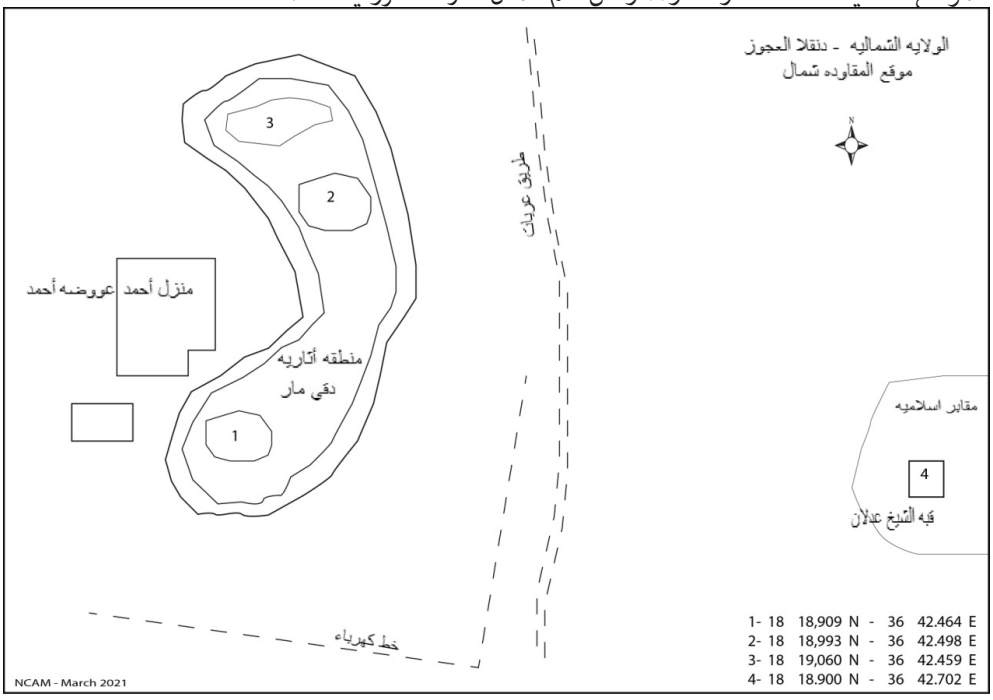

خارطة كروكية توضح الموقع الأثري بالمقاودة شمال

الصورة أعلاه توضح موقع الأثرى بالمقاودة شمال

الصور أعلاه توضح قية الشيخ عدلان والمقابر الإسلامية وبقايا كسارة الفخار تظهر علي السطح

من خلال الزيارات التي تمت لهذه المنقطة تلاحظ بجانب هذا الموقع هنالك مواقع أثري أخري تقع بالقرب من هذا الموقع تحتاج إلي عمل مسح آثاري وتسجيلها ومن ثم عمل خارطة مروكية لها، وذلك بسبب التمدد السكاني مما أري إلي التعدي علي جزء كبير من حرم هذه المواقع. عليه أقترح بتنفيذ مأمورية مستعجلة حتي تتمكن الهيئة من تسجيل هذه المواقع التي تقع شمال منطقة دنقلا العجوز(الغدار).

ملحق رقم(3)

صورة من تقرير الزيارة الثانية لفريق الهيئة العامة للآثار والمتاحف للموقع رقم(2)

التاريخ:2024/1/10م

السيد / لمن يهمهم الامر

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الموضوع / خلو طرف من الاثار – لموقع سكني مقترح بقرية المقاودة باسم /يوسف عبد السلطان شيخ ادريس

بالإشارة للموضوع اعلاه نفيدكم بان المنطقة المحددة بالإحداثيات ادناه والتي تقع بمحلية القولد منطقه المقاودة والبالغ مساحتها (725)م.م بالحداثيات ادناه :

ID	N	E
1	18 19 06.6	30 42 29.5
2	18 19 06.5	30 42 30.4
3	18 19 05.6	30 42 30.2
4	18 19 05.8	30 42 29.3

وبناء على تقرير الزيارة الميدانية والحفرية الاختبارية التي قام بها مفتشي الاثار من الولاية والهيئة العامة للأثار والافادة بان المنطقة الموضحة بالحداثيات أعلاه خالية من الاثار ولامانع من بناء القطعة السكنية ، وهذا ما لزم توضيحه .

والله الموفق

هند أحمد عبدالله

الامين العام للمجلس

ملحـق رقـم(4)

صورة من تقرير مفتشي الآثار بالولاية الشمالية والهيئة العامة للآثار والمتاحف للموقع رقم(1)

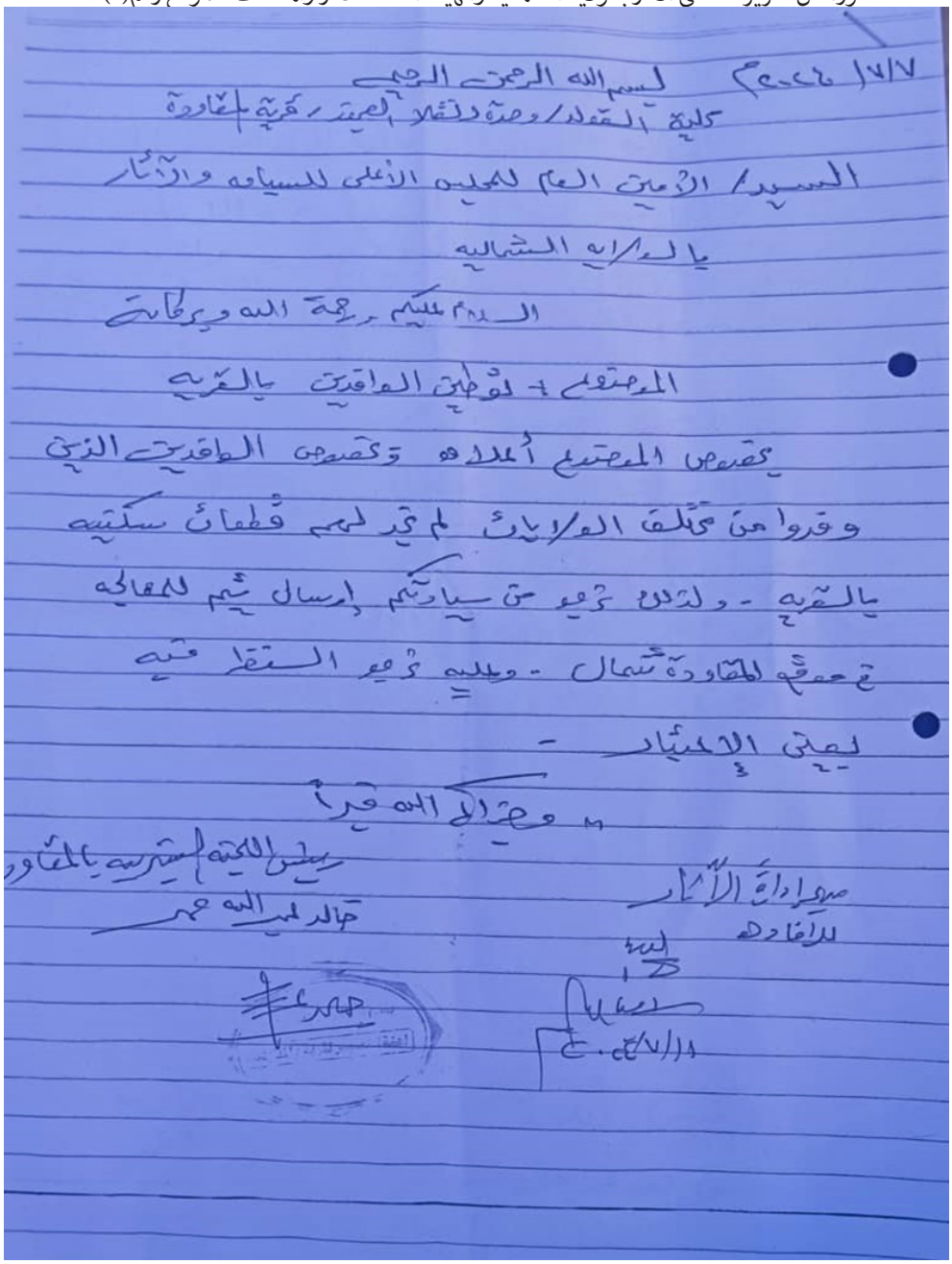

بسم الله الرحمن الرحيم

كلية العقلد / وحدة تقلا الصيد / قرية الحاودة

السيد / الأمين العام للمجلس الأعلى للسياحة والآثار

بالولاية الشمالية

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الموضوع : توطين العاقدين بالقرية

تفضلوا المعتمد أعلاه وتفضلوا العاقدين الذين

وفدوا من مختلف الولايات لم تجد لهم قطعان سكنية

بالقرية - ولذلك نرجو من سيادتكم إرسال فريق للمعاينة

في حوض الحاودة شمال - وعليه نرجو التقدم فيه

لبحث الاحتياجات -

وتقبلوا فائق الاحترام والتقدير

رئيس اللجنة المشرفة بالحاودة

خالد أحمد الله عمر

صورة إدارة الآثار

للإفادة

ملحق رقم(5)

صورة من خطاب لجنة رئيس التسيير بالمقاودة للسيد مدير المجلس الأعلي للسياحة والأثار بالولاية الشمالية

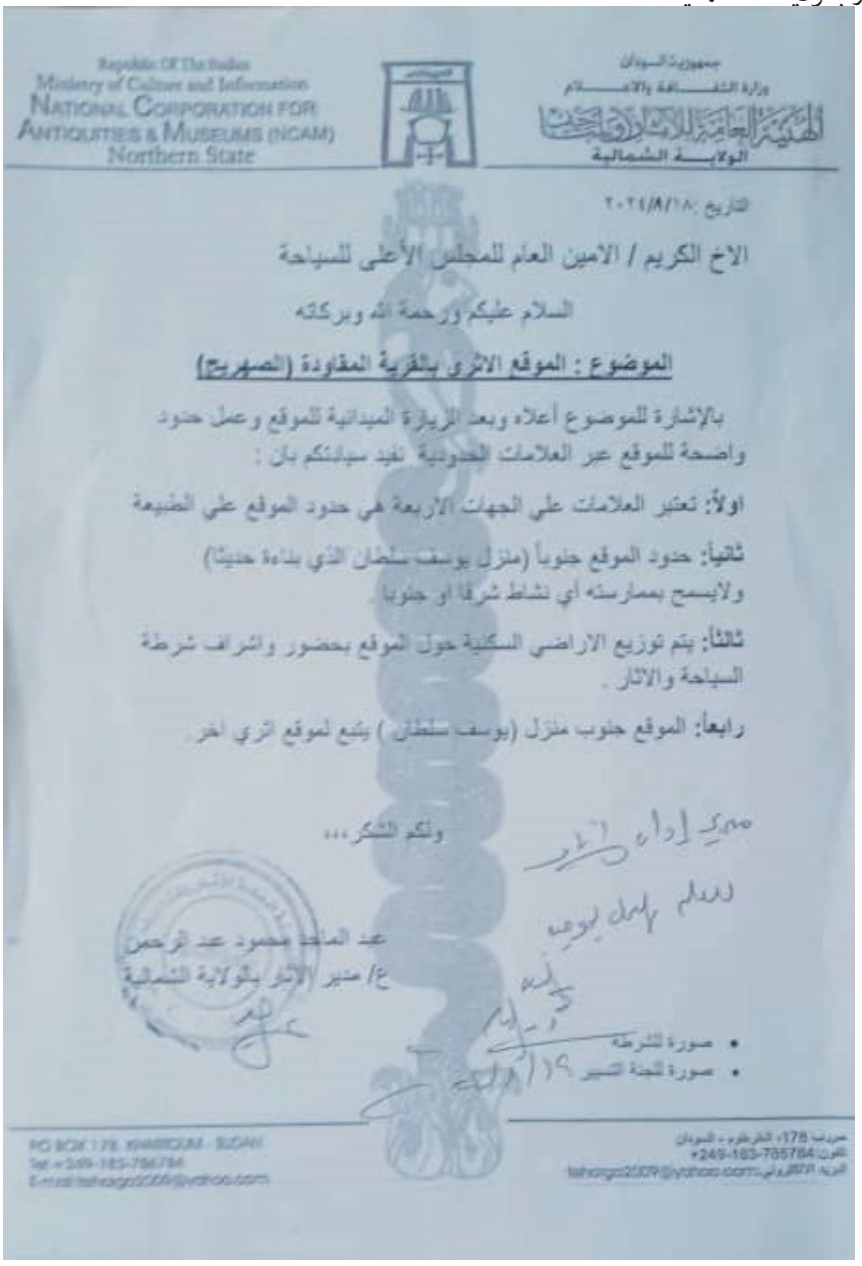

Republic Of The Sudan
Ministry of Culture and Information
NATIONAL CORPORATION FOR ANTIQUITIES & MUSEUMS (NCAM)
Northern State

جمهورية السودان
وزارة الثقافة والاعلام
الهيئة العامة للآثار والمتاحف
الولاية الشمالية

التاريخ: ٢٠٢١/٨/١٨

الاخ الكريم / الامين العام للمجلس الأعلى للسياحة

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الموضوع : الموقع الاثري بالقرية المقاودة (الصهريج)

بالإشارة للموضوع أعلاه وبعد الزيارة الميدانية للموقع وعمل حدود واضحة للموقع عبر العلامات الحدودية نفيد سيادتكم بان :

اولاً: تعتبر العلامات علي الجهات الاربعة هي حدود الموقع علي الضبعة

ثانياً: حدود الموقع جنوباً (منزل يوسف سلطان الذي بداءة حديثا) ولايسمح بممارسته أي نشاط شرقا او جنوبا .

ثالثاً: يتم توزيع الاراضي السكنية حول الموقع بحضور واشراف شرطة السياحة والاثار .

رابعاً: الموقع جنوب منزل (يوسف سلطان) يتبع لموقع اثري اخر .

ولكم الشكر ،،،

عبد الماجد محمود عبد الرحمن
ع/ مدير الاثار بالولاية الشمالية

- صورة للشرطة
- صورة للجنة التسيير

PO BOX 178, KHARTOUM - SUDAN
Tel: +249-183-786784
E-mail: taharga2009@yahoo.com

حررب 178، الخرطوم - السودان
تلفون: +249-183-786784
البريد الالكتروني: taharga2009@yahoo.com

الوجود الآثاري والتاريخي لحرفة الطوب الأحمر في منطقة الجريف شرق

د. أسعد عبد الرحمن عوض الله

الامين العام للمجلس القومي للتراث الثقافي وترقية اللغات القومية – السودان

مستخلص:

تلقي الورقة الضوء على تاريخ حرفة الطوب الأحمر في منطقة الجريف شرق وفي السودان بشكل عام وتبيِّن أن هذه الحرفة بدأت في السودان منذ فترة حضارة كرمة بموقع مدينة كرمة الحالية غرب ما يعرف بالدفوفة الغربية، وهذه هي أول إشارة لوجود الطوب الأحمر على امتداد وادي النيل بالدليل الآثاري المتوفر في السجل الأثري، وربما تكون قد بدأت قبل هذا التاريخ، واستمر إنتاج الطوب الأحمر وكذلك استخدامه في البناء بعد فترة حضارة كرمة خلال الفترات التاريخية المتعاقبة حتى فترة الحضارة المروية، وإلى يومنا هذا حيث بدأ الاستخدام والانتشار الحقيقي للطوب الأحمر واستخدامه في البناء إبان الفترة المروية، وسنتطرق في هذه الورقة بإلقاء الضوء على بعض المواقع و المباني الأثرية التي تعود لتلك الفترة، والتي استخدم فيها الطوب الأحمر في البناء؛ وذلك لأن الحضارة المروية من أعظم الحضارات السودانية ولها امتدادها على طول وادي النيل، وتشمل مواقع داخل منطقة الجريف شرق والمناطق المجاورة لها، وتوضح الدلائل الأثرية استخدام الطوب في هذه المواقع بالمنطقة، وتتبع الوجود الآثاري والتاريخي لهذه الحرفة عبر الفترات التاريخية المختلفة في تاريخ السودان القديم من خلال الأدلة الأثرية المتوفرة في منطقة الجريف والتي نجد فيها أقدم دليل يعود إلى فترة الحضارة المروية وتليها الفترة المسيحية وبعدها فترة دولة الفونج، ومن خلال هذه الفترات نجد بقايا الطوب الأحمر في المقابر المروية والمسيحية وفي قباب الأولياء والصالحين في فترة الفونج، وكذلك استمرت هذه الحرفة إبان فترة الحكم التركي في السودان وفي فترة الاستعمار الإنجليزي المصري حيث بنيت به عدد من المؤسسات الحكومية مثل القصر الجمهوري وجامعة الخرطوم والنقل النهري.

الكلمات المفتاحية: الطوب الأحمر ، الجريف شرق ، كرمة – مروي ،الفونج.

The Archaeological and Historical presence of the Red Brick Craft in the eastern Al-Jeraif area.

Dr. Asaad Abd Elrahman Awadallah Abd Elrahman

Abstract:

The paper sheds light on the history of the red brick craft in the Jeraif East area and in Sudan in general, and shows that this craft began in Sudan during the Kerma civilization period at the site of the current city of Kerma, west of what is known as Western Dafufa. This is the first indication of the presence of red bricks along the Nile Valley with

archaeological evidence available in the archaeological record, and it may have begun before this date. The production of red bricks and their use in construction continued after the Kerma civilization period during successive historical periods until the Meroitic civilization period, and to this day, when the real use and spread of red bricks and their use in construction began during the Meroitic period. In this paper, we will shed light on some of the archaeological sites and buildings dating back to that period, in which red bricks were used in construction. This is because the Meroitic civilization is one of the greatest Sudanese civilizations and extends along the Nile Valley, including sites within the Al- Jeraif East area and the surrounding areas. Archaeological evidence shows the use of bricks in these sites in the area, and traces the archaeological and historical presence of this craft across the different historical periods in the history of ancient Sudan through the archaeological evidence available in the Al- Jeraif area, in which we find the oldest evidence dating back to the Meroitic civilization period, followed by the Christian period and then the Funj state period. Through these periods, we find remains of red bricks in the Meroitic and Christian cemeteries and in the domes of saints and righteous people in the Funj period. This craft also continued during the period of Turkish rule in Sudan and during the period of British-Egyptian colonialism, where a number of government institutions were built with it, such as the Republican Palace, the University of Khartoum, and river transport.

Keywords: Red brick - East Jeraif - Kerma - Meroe - Funj.

مقدمة:

في هـذا المقـال سـنتتبَّع تاريـخ حرفـة الطـوب الأحمـر في الحضـارة السـودانية، والتـي بـدأت منـذ فـترة كرمـة، وتعتـبر البدايـة الأولى لهـذه الحرفـة في السـودان، كـما نركـز أيضـاً عـلى فـترة الحضـارة المرويـة التـي انتـشرت فيهـا هـذه الحرفـة، وذلـك بذكـر أمثلـة لبعـض المواقـع الأثريـة التـي اسـتخدم فيهـا الطـوب الأحمـر كـمادة للبنـاء، ثـم ندلـف إلى الفـترات التاريخيـة المتعاقبـة عـلى منطقـة الجريـف شرق والتـي اسـتخدم فيهـا الطـوب الأحمـر كـمادة للبنـاء منـذ فـترة الحضـارة المرويـة والفـترة المسـيحية إلى الفـترة الإسـلامية، وهـذه الفـترات التاريخيـة المختلفـة والمتعاقبـة تؤكـد الوجـود الأثـري للطـوب الأحمـر بمنطقـة الجريـف شرق، وتوضـح أيضـاً مـدى العمـق التاريخـي لهـذه الحرفـة، وبتلمـس هـذا الجانـب التاريخـي نوضـح أيضـاً قـدم منطقـة الجريـف شرق ونشـأتها وتاريخهـا وتتبـع ذلـك خـلال تلـك الفـترات والفـترات التاريخيـة الحديثـة، والتـي انتـشر فيهـا اسـتخدام الطـوب الأحمـر بالمنطقـة.

حرفة الطوب الأحمر في السودان القديم:

بدأت حرفة الطوب الأحمر في السودان منذ فترة حضارة كرمة بموقع مدينة كرمة الحالية غرب ما يعرف بالدفوفة الغربية وتعود تلك الفترة إلى ما يعرف بحضارة كرمة الكلاسيكية (1750 – 1500 ق.م)[1]. أثناء فترة كرمة الكلاسيكية عمَّ استعمال الطوب المحروق، حيث شيدت به أبراج مدورة وغطّت به جدران مباني أخرى مهمة، تقوية لها بزيادة سمكها، أو إمعاناً في زينتها، وغدت المنازل عالية جداً وسطحت سقوفها[2].

يتجاذب تياران صناعة البناء بكرمة، الأول يمثله البناء بالأخشاب كأكواخ دائرية أو مستطيلة معروفة ببلاد النوبة منذ فترات ما قبل التاريخ، وفي الفترات التاريخية والثاني البناء بالطوب – لبن كان أو محروق – وكثيراً ما يشاهد الأثنان معاً في مبنى واحد الشيء الذي يتولد منه طراز معماري مركب[3].

وفي الدفوفة الغربية تحديداً يقول شارلس بونيه:

«أثناء الحفريات أمكننا ملاحظة استعمال الطوب المحروق في بناء الجدار القديم وهذا بلا شك – رغم بساطته – أول إشارة لاستعمال الطوب المحروق في تاريخ وادي النيل وبطريقة منتظمة، حيث غدت مادة البناء خلال فترة كرمة الكلاسيكية»[4]. ويضيف بأنَّ: «الانتظام والتناسق الذي ظهر على حرق الطوب يشهد بأن ذلك لم يكن اعتباطاً، بل نتج عن حذق وتمكن في الحرفة مقصود لحد ذاته، حيث استغلت مادة الطوب الأحمر»[5]. (انظر الصورة رقم 1).

الصورة رقم(1): الدفوفة

الدفوفة الغربية ذكرها – أيضاً- وليام ي. آدمز مركزاً على بعض الإضافات التي حدثت في مبناها موضحاً أنها بنيت بنفس نوع الطوب الذي بنيت به الدفوفة ويؤكد هنا استخدام الطوب الأحمر في هذه الإضافات إذ يقول: «عقب البناء الأصلي للدفوفة الغربية، أضيفت زيادتان أضفتا مسحة بارزة على وجهه الشرقي، وأن كليهما مثل البناء الأصلي، طوب محروق، وربما أن كل منهما نهض على الارتفاع الكلي للهيكل الأصلي ليوسع السطح المرتفع في قمة البناء، مع هذا فإن أول

وأكبر الإضافتين يحتوي غرفتين صغيرتين»[6].

وصف صلاح عمر الصادق مبنى الدفوفة الغربية ذاكراً أبعاده ومقاس الطوب الذي بنيت به وأردف قائلاً: «الدفوفة الغربية بناء مستطيل من الطوب عرضه 27 متراً وطوله 52 متراً، يقوم هذا البناء على أساس غير عميق، تتراوح أبعاد الطوب الذي بنيت منه هذه الدفوفة بين (35×17×12سم و 35×17×8سم)»[7].

من خلال هذه الآراء عن استخدام الطوب الأحمر في فترة حضارة كرمة يتأكد لنا أن البداية الحقيقية لحرفة واستخدام الطوب الأحمر كمادة للبناء في الحضارة السودانية بشكل عام، بدأت منذ حضارة كرمة الكلاسيكية قبل 4000 سنة، وربما يكون قبل هذا التاريخ، لكن الدلائل والشواهد الأثرية من خلال مبنى الدفوفة الغربية بكرمة، تؤكد لنا استخدام الطوب الأحمر منذ ذلك التاريخ، فمتى ما ذكرت حضارة كرمة يذكر مبنى الدفوفة الغربية، الذي يعد من أكبر المواقع الأثرية، وحينما يذكر هذا الموقع يتبادر إلى الذهن استخدام الطوب الأحمر.

استمرت حرفة الطوب الأحمر وكذلك استخدامه في البناء بعد فترة حضارة كرمة خلال الفترات التاريخية المتعاقبة حتى فترة الحضارة المروية، وإلى يومنا هذا حيث بدأ الاستخدام والانتشار الحقيقي للطوب الأحمر واستخدامه في البناء إبان الفترة المروية، وسنتطرق في السطور القادمة لإلقاء الضوء على بعض المواقع و المباني الأثرية التي تعود لتلك الفترة، والتي استخدم فيها الطوب الأحمر في البناء؛ وذلك لأن الحضارة المروية من أعظم الحضارات السودانية ولها امتدادها على طول وادي النيل، وتشمل مواقع داخل منطقة الجريف شرق والمناطق المجاورة لها، وتوضح الدلائل الأثرية استخدام الطوب في هذه المواقع بالمنطقة، وتعتبر أول إشارة لوجود الطوب بمنطقة الجريف شرق، والتي تقع ضمن إقليم مروي الكبير، الذي امتد على طول إقليم وادي النيل الأوسط، وهو الإقليم الممتد على ضفاف النيل في مجراه الرئيسي حتى الحدود المصرية بالإضافة إلى إقليم الجزيرة، وكان هذا الإقليم مركز النشاط السياسي والحضاري للمملكة[8].

أما عن مواد البناء التي استخدمت في تلك الفترة وضح عمر حاج الزاكي:

«من الشواهد المتفرقة المتوفرة يمكننا القول بتعدد أشكال المباني التي انتشرت في مدن وقرى المملكة، كما تنوعت مواد البناء التي استغلها المرويون في تشييد مساكنهم وقصورهم، لقد استعملوا الخشب والقش والطين والطوب الأحمر والحجر»[9].

هنا يذكر الزاكي استخدام مادة الطوب الأحمر التي استخدمت في البناء ضمن المواد التي استخدمها المرويون، والشواهد التي تؤكد وجود واستخدام الطوب الأحمر في تلك الفترة كثيرة ومتعددة، إذ يقول: «عرف المرويون حرفة الطوب الأحمر وتميز طوبهم بفخامة الحجم وما زالت أمثلة منه موجودة فيما يعرف بالحمام الروماني وبعض أهرامات البجراوية الشمالية المتأخرة وفي تبطين بئر النقعة التي لا تزال مستعملة»[10].

أما عن آثار الكمائن التي تم فيها إنتاج الطوب الأحمر الذي استخدم في البناء فلم يبقَ منها شيء؛ وذلك لأنها دائماً ما تبنى على ضفاف النيل لأن الحرفة تعتمد على مادة الطمي كمادة

أساسية وهذه نتيجة طبيعية نسبة لتعرضها للفيضانات التي تحدث سنوياً، كما أن النيل يغير مجراه باستمرار، مما أدى إلى زوال تلك الكمائن من على شواطئ النيل، وفي هذا الخصوص ذكر الزاكي فيما يتعلق بالكمائن في الفترة المروية بأن:

«الكمائن عموماً ليست من الآثار التي تبقى فلا بد أنهم نصبوا كمائنهم على ضفاف النيل حيث يكثر الطمي المادة الأساسية في حرفة الطوب الأحمر حتى اليوم»[11].

المباني المروية التي استخدم فيها الطوب الأحمر كمادة للبناء ذكرها وليام ي. آدمز قائلاً:

«أن كثيراً من المباني لها واجهة خارجية من الطوب المحروق واستدل على ذلك بمعبد آمون وأشار إلى أنه مبني في شوطه الأوسع بالطوب المحروق خصوصاً الواجهة»[12].

كذلك من أهم المواقع الأثرية التي تعود إلى تلك الفترة والتي قام بتلخيصها صلاح عمر الصادق إذ يقول: «قام قارستانق Garstang 1909 – 1914م بالتنقيب في المواقع المروية المختلفة، ومن الأماكن التي قام فيها بالتنقيب: المدينة الملكية، ومعبد آمون، معبد الشمس، معبد الأسد، معبد إيزيس، وهيكل ابيس، بالإضافة إلى المقابر غير الملكية والملكية، ونشير إلى أن النسبة الكبرى من المواقع لم يتم حفرها، وهذا الجزء يتكون من تلال تغطيها كميات من الطوب الأحمر وتلال من بقايا متراكمة من صناعة الحديد التي اشتهرت بها مروي»[13].

جميع الأماكن التي قام فيها قارستانق بالتنقيب نجد فيها استخدام الطوب الأحمر كمادة بناء في وحداتها المعمارية المختلفة، وهي من أهم المواقع الأثرية في عهد مروي التي منها: المدينة الملكية التي تقع إلى الغرب من معبد آمون وتحتوى على عدد من المباني المشيدة التي لها واجهات بنيت بالطوب الأحمر[14]، كذلك من المباني معبد آمون بالقرب من السور الكبير الذي يحيط بالمدينة الملكية وله واجهة بنيت بالطوب الأحمر[15]، هذا بالإضافة إلى معبد الشمس المحاط بسور من الطوب الأحمر، كما شيد جدران معبد الأسد من الطوب الأحمر[16].

من خلال هذه الإشارات لبعض المواقع والمباني الأثرية في فترتي كرمة والفترة المروية، نؤكد استخدام مادة الطوب الأحمر في البناء كمادة أساسية وهذا يؤكد وجود هذه الحرفة في الفترات التاريخية القديمة في السودان بصورة منتظمة خصوصاً في فترة حضارة كرمة، أول حضارة سودانية وضحت خلالها كل ملامح وعناصر الدولة السودانية قبل 4000 سنة.

تاريخ حرفة الطوب الأحمر بمنطقة الجريف شرق:

إذا ألقينا الضوء على منطقة الجريف شرق نجد أن هنالك العديد من المواقع الأثرية التي تعود إلى الفترات التاريخية المختلفة، والتي عثر فيها على بقايا الطوب الأحمر، ومن أهمها الموقع الأثري الذي يعود إلى فترة المملكة المروية بمنطقة الجريف شرق، وموقع آخر يقع بمنطقة أم دوم يعود إلى الفترة نفسها على بعد (2 كلم) من الجريف شرق وتزامن معه، بالإضافة للمواقع التي تعود إلى فترة سوبا المسيحية بمنطقة سوبا شرق بالقرب من الجريف شرق، وتنتشر فيها بقايا المباني التي بنيت بالطوب الأحمر، والتي ما زالت موجودة إلى الآن ولها امتدادها داخل منطقة الجريف، هذا بالإضافة إلى وجود مقابر بمنطقة الجريف شرق تعود إلى فترة دولة الفونج، كل هذه المواقع

سوف نتعرض لها بالشرح من خلال التقارير الآثارية والدراسات التي تمت فيها، بالإضافة إلى الاستشهاد بأقوال الرحالة العرب، خصوصاً التي وردت لتؤكد تاريخية منطقة الجريف شرق بالإضافة إلى الروايات الشفاهية وذلك في السطور التالية.

موقع الجريف شرق الذي يعود إلى الفترتين المروية وفترة ما بعد مروي عبارة عن مقابر تحتل مساحة كبيرة على ضفاف النيل الأزرق، في الناحية الشمالية الغربية بمحاذاة النيل من منطقة الجريف شرق الحالية، وهذا الموقع تم اكتشافه سنة 1980م بواسطة العمليات الإنقاذية التي قامت بها وحدة أبحاث الآثار الفرنسية التابعة للهيئة القومية للآثار والمتاحف، والتي تم تأسيسها سنة 1970م بعد الاتفاقية الثقافية بين السودان وفرنسا، وكانت عمليات الإنقاذ آنذاك في المنطقة حول مدينة الخرطوم ومدينة شندي؛ وذلك لأن تلك المواقع حول المدينتين كانت تتعرض للدمار المستمر بفعل العامل البشري، نتيجة لأخذ التراب من تلك المواقع والذي يستخدم في البناء، أو عمليات الزراعة بالمنطقتين.ما يهمنا هنا أن المقبرة بنيت بالطوب (انظر الصورة رقم 2).

الصورة رقم (2): مقبرة تعود للفترة المروية، موقع الجريف شرق، بني مدخلها بالطوب الأحمر.

بها جدار من الداخل يوضع بجانبه المتوفى ممدداً وموازياً للجدار، والقبر مائلاً من المدخل نحو الجدار ويتم غلق هذا المدخل بالطوب، ومن ثم يتم رصف الأواني الفخارية والبرونزية والأوعية الزجاجية، وجراب السهام والأسلحة بشكل مرتب، ويفصل هذا الترتيب الهيكل من مدخل المقبرة، وواضح من نوع الفخار الذي عثر عليه في هذه المقابر أنه تم انتاجه بواسطة العجلة، وهذا مؤشر إلى أن الحضارة التي قامت في هذه المنطقة حضارة متقدمة[17].

الموقع الآن دمر تماماً، ولم يبقَ منه شيء؛ وذلك بفعل العامل البشري، لأن الموقع كان يؤخذ منه تراب البناء وما زال، مما أدى إلى زواله، هذا بالإضافة إلى إنشاء كبري المنشية في العام 2005م، والذي يمر شمال الموقع فقد أزاله تماماً وحتى اللافتة التي كانت توضع على الموقع باسم الهيئة القومية للآثار تمت إزالتها بفعل عمليات الردميات بجانبي الكبري.

هنالك موقع أثري آخر يعود إلى فترة الحضارة المروية بمنطقة أم دوم الحالية، تم اكتشافه بالصدفة حيث عثر فيه على جزء من تمثال الملك اسبلتا، هذا الموقع وموقع الجريف شرق، وموقع سوبا شرق، جميعها تقع على خط عرض واحد (32، 15°)، وعلى أبعاد متساوية من النيل الأزرق، كما اعتمد كلا الموقعين أم دوم والجريف شرق على النيل، وهي من المواقع الاستيطانية وهذا يؤكده وجود المقابر وبقايا العظام التي تغطي السطح ووجود المراحيك العليا والسفلى خصوصاً بموقع الجريف شرق[18].

أما عن سوبا المسيحية في الفترة التي تلت الحضارة المروية وتزامنت معها أيضاً، كمدينة تجارية حسب التسلسل التاريخي للحضارة السودانية، فقد ذكر محمد إبراهيم أبو سليم: «وعلى بعد عشرين كيلو متراً جنوب مدينة الخرطوم كانت تقع مدينة سوبا القديمة عاصمة مملكة النوبة المسيحية العليا أو مملكة علوة، وقد اشتهرت سوبا من القرن السادس عشر الميلادي وكانت عامرة بالمباني الجميلة والكنائس المسيحية والمعابد التي بنيت على طراز معابد نبتة والنقعة»[19].

بما أن الفترة المسيحية تلت الحضارة المروية وتم اختيار موقع مدينة سوبا لانتقال العاصمة من مروي، فإن ذلك يؤكد استراتيجية المكان وجغرافيته الممتازة كما أن الطراز المعماري الذي ذكره أبو سليم ويشبه إلى حد كبير معابد نبتا والنقعة وهذه الأخيرة تعود إلى الحضارة المروية، وهذا الطراز تمت ملاحظته من خلال بقايا الموقع المروي بمنطقة الجريف شرق والذي به بقايا الطوب المحروق والفخار الملون وعادات الدفن بالمقابر، وهذا يؤكد الاستمرارية التاريخية بالمنطقة ووقوع موقع الجريف شرق داخل حدود مدينة سوبا في فترة الحضارة المروية كما أن هذه المدينة كانت المدينة التجارية الثانية بعد مروي العاصمة، وهذا ما أكده أحمد أحمد سيد أحمد حيث ذكر : «أول ذكر لسوبا على الآثار جاء في لوحة أقامها أحد ملوك مروي سنة 328 ق.م لتخليد ذكرى مباركة الإله آمون لجلوسه على عرش البلاد، فقد عد فيها أقاليم مملكته ومن بينها علوة بعاصمتها سوبا، واشتهرت سوبا في عهد مملكة مروي كمدينة تجارية تحتل المركز التجاري الثاني بعد مروي العاصمة»[20].

ترجع نشأة سوبا إلى أيام الأسرة السادسة والعشرين في مصر، حيث قام نزاع بين الفرعون ابسماتيك الثاني وجماعة من جنده فهربوا إلى منطقة مروي القديمة، ويرجع المؤرخ الروماني Bio 150) ق.م) أن الجند الفارين أسسوا من المدن مدينة Sape، ولما كان من المرجح أن اسم سوبا تحريف لهذا الاسم يتضح أن سوبا من إنشاء هؤلاء الجند. وحيث إن حادث التهريب وقع سنة 586 ق.م، لذلك يغلب على الظن قيام سوبا في تلك السنة أو بعدها بسنوات قليلة على عهد مملكة نبتة[21].

إذا أردنا أن نحقق في تاريخ هذه المملكة في القرون الوسطى، نجد معظم المعلومات في كتب الرحالة العرب، لا سيما ابن حوقل وابن سليم الأسواني. فقد زارا النوبة في النصف الأول من القرن الرابع الهجري؛ أي بين سنة 950م وسنة 970م، وأجمع الرحالان على أن مملكة علوة كانت واسعة وقوية.

جاء في ابن حوقل: «ومن أعمر بلاد النوبة نواحي علوة وهي ناحية لها قرى متصلة، وعمارات مشتبكة حتى أن السائر ليجتاز في المرحلة الواحدة بعدة قرى غير منقطعة الحدود ذوات مياه متصلة بسواقي على النيل»[22]

كذلك ذكر ابن سليم الأسواني: «عاصمة علوة مدينة سوبا الواقعة على الضفة الشرقية للنيل الأزرق قرب ملتقى النيلين وفي هذه المدينة مبانٍ حسان ومنازل واسعة وكنائس كثيرة الذهب وبساتين»[23].

هذا يؤكد وقوع منطقة الجريف شرق داخل حدود مدينة سوبا، وأن المباني التي تم وصفها من قبل أولئك الرحالة لها بقايا داخل الجريف شرق، وهذا ما سوف نتطرق له لاحقاً، وهذه البقايا بنيت من الطوب الأحمر ميزة الإنشاء المعماري النوبي المسيحي، والذي أكده فانتيني إذ يقول: «إن الطوب الأحمر ميزة الإنشاء المعماري النوبي المسيحي»[24].

أيضاً ذكر أبو صالح الأرمني في القرن الثالث عشر الميلادي، وهو مهتم بالجوانب المسيحية، فقد ذكر عن سوبا: «مدينة علوة بها جيش، ومملكة عظيمة جداً، وأعمال متسعة، وبها أربعمائة كنيسة، وهذه المدينة شرقي الجزيرة الكبيرة بين البحرين الأبيض والأخضر، وجميع من بها نصارى يعاقبة، حولها ديارات متباعدة من البحر ومنها ما هو على البحر، وبها كنيسة عظيمة جداً متسعة محكمة الوضع والبناء»[25]، وهذا الموقع الذي وصفه يشمل منطقة الجريف شرق حيث ذكر أنها شرق الجزيرة بين البحرين الأبيض والأخضر ويقصد بها النيل الأبيض والأزرق.

بعد الدراسات الآثارية التي أجريت في مدينة سوبا المسيحية نستشهد بأقوال بعض الآثاريين الذين أكدوا عِظَم هذه المملكة ومنهم بيتر شيني، الذي يؤكد أنه في ذلك الوقت لا توجد شواهد للبناء من أجل السكنى، إلا من سوبا حيث نجد أن المساكن والكنائس كانت من الطوب، وأن الحفريات التي أجريت في سوبا سنة 1952م تدل على أنها كانت مدينة عظيمة، واستشهد في ذلك بصناعة الفخار المميز المنقوش الجميل الذي نجده في سوبا، إذ ذكر أنه يحمل بين طياته سراً غامضاً لا يعرف ما يماثله في المملكة الشمالية ولا في مصر ولا في الأقطار المجاورة[26].

أيضاً خلال الحفريات الأثرية لمنطقة سوبا شرق بواسطة البعثة الإنجليزية عام 1981م، تم كشف العديد من الأكوام الترابية التي عثر بداخلها على آثار مدينة تعود إلى الفترة المسيحية، وقدر تاريخها بحوالي الألف الأول الميلادي والتي تحتوي على كميات كبيرة من الطوب الأحمر، الذي بنيت به الأسوار ذات السمك الموحد والتي استخدم فيها الطلاء (البِلاَسْتَر)، وهذا النمط يمثل نمط المعمار في البدايات الأولى للفترة المسيحية، هذا بالإضافة إلى تواجد اللقى الأثرية المروية والتي تشير إلى استيطان الموقع وازدهاره في الفترة المروية قبل الفترة المسيحية، كما أن هنالك تطور

ملحوظ في الطوب الأحمر، إذ وجد أن الطوب الأحمر أحياناً تتم زخرفته قبل عملية الحرق، حيث تم العثور على أنواع متعددة من الأنماط الزخرفية[27].

الأنماط المعمارية للكنائس وعمارة المعابد المروية التي تتشابه، هذا ما أكدته آراء الرحالة السالفة الذكر والمؤرخون، وهذا بدوره يؤكد الاستمرارية في أنماط بناء العمارة بمدينة سوبا.

منطقة الجريف شرق تأريخياً تقع داخل حدود مدينة سوبا المسيحية وعاصرت – أيضاً- منطقة سوبا منذ الفترة المروية وتعتبر من أقدم المدن؛ وذلك لأن مدينة سوبا المسيحية لها امتدادها داخل منطقة الجريف شرق الحالية وفي الجزء الشرقي تحديداً هنالك بقايا لآثار مسيحية، تعود إلى تلك الفترة، وتعتبر من بقايا مدينة سوبا، وهذا ما ذكره الراوي حسن المبارك: «هِي مَمْلَكَة سُوْبَا بِتِمْتَد لَغَايَة مَنْطِقَة الجِّرِيْف دِي حَتَّى هِنَا عِنْدَنَا مَنْطِقَة شَرِق الجِّرِيْف طَوَّالِي مَنْطِقَة أَثَرِيَّة مَعْمُوْلَة فِيْهَا عَلَامَات أَثَرِيَّة حَتَّى وَالْدِي طَبْعَاً كَبِيْر يَعْنِي قَالْ لَيْ نِحْنَا زَمَانْ بِنْقُوْل عَلَيْهَا قَلْعَةْ هَاجِرْ لَكِن هَسِّعْ التَّارِيْخ مَا وَرُّوْنَا عَنْهَا أَيِّ مَعْلُوْمَة وُحَالِيَّاً فِي جُزء مِنَّهَا مَوَزَّع أَرَاضِي سَكَنِيَّة لَكِن هِي مَنْطِقَة أَثَرِيَّة فِيْهَا بَقَايَا طُوْبْ وُفِيْهَا بَقَايَا كُتَلْ مَا بِنْقُوْل خَرَسَانَة لأَنُّو زَمَان مَافِي خَرَسَانَة لَكِن حَجَرْ، إِمْكِن بِطُوْل أَرْبَعَة مِتِر مَعَنَاهَا هِنَا كَانَتْ فِي حَضَارَة»[28].

من هذه الجزئية من حديث الراوي نستنتج أن مملكة سوبا تمتد داخل منطقة الجريف شرق من الناحية الشرقية، بدليل الموقع الأثري الذي به بقايا الطوب الأحمر والحجارة والذي يطلق عليه «قلعة هاجر»، هذا الموقع لم تجرى فيه دراسة إلى الآن كما أصابه الدمار؛ وذلك لأنه تم توزيع الأرض التي يقع فيها الموقع شرق المنطقة للسكن.

كما ذكر الباحث سابقاً من خلال المعلومات التاريخية وأقوال الرحالة العرب والتأريخ الشفاهي بالمنطقة، مما يؤكد أن مدينة سوبا لها امتدادها داخل منطقة الجريف؛ وذلك لأنها تمتد حتى ضفة النيل الأزرق، كما تقع إلى الشرق مباشرة من منطقة الجريف الحالية، فمدينة سوبا بشكل عام كانت تشمل منطقة الجريف شرق، ومنطقة أم دوم؛ أي تحتل كل المساحة التي تقع فيها هذه المناطق على امتداد النيل الأزرق.

كذلك ورد في كتاب مهدي الفحل، تاريخ وأصول العرب بالسودان قصة خراب سوبا قوله:

«كان الأمير مسمار قد ارتحل من بارا ونزل العرشكول بقصد جمع كلمة عموم العرب وحرب ملك سوبا فسعى وبعد ذلك تم الاتفاق بين أمراء قبائل قحطان بواسطة الأمير حيدر على أن يغزوا عاصمة العنج والنوبة في مملكة علوة إلى سوبا وفعلاً اشتبكوا مع العنج والنوبة في حرب ضروس ومنازلات دامت أياماً متعددة فهزموا الملك عفايق وقتلوه ولم يتعرضوا للكنائس بأذى بل تركوها موفورة الكرامة وكانت الكنائس على الشاطئ وآثارها موجودة وبعد قتل الملك قسموا بين الناس الغنائم واتفقوا على أن يكون النيل الأزرق من كركوج إلى آخره ملكاً لقبائل قحطان وسميت البحر الجهني ومن كركوج ملكاً للجعليين وسمي بحر الجعليين ودام هذا إلى مجيء الأتراك سنة 1236هـ»[29].

هـذا يؤكـد أن منطقـة الجريـف شرق الحاليـة داخـل حـدود مدينـة سـوبا المسـيحية بدليـل ذكـر كركـوج وهـي أقـدم أحيـاء الجريـف شرق، هـذا بالإضافـة إلى وجـود الجعليـين في تلـك المنطقـة منـذ ذلـك التاريـخ وإلى الآن فمعظـم السـكان المحليـين الآن مـن الجعليـين، وتحديـداً أصحـاب الكمائـن الذيـن يمارسـون حرفـة الطـوب الأحمـر بالمنطقـة عـلى امتـداد الشـاطئ، بالإضافـة إلى وجـود الكنائـس في ذلـك الزمـان، والتـي تمتـد حتـى الشـاطئ وهـذا يؤكـد امتـداد مدينـة سـوبا داخـل منطقـة الجريـف شرق.

كذلـك ورد ذكـر آخـر لمنطقـة الجريـف شرق الحاليـة مـن خـلال التاريـخ الـذي سرده نعـوم شـقير في هـذا السـياق، متحدثـاً عـن خـراب سـوبا والـذي بموجبـه سـيطر الفونـج عـلى تلـك المملكـة، حيـث قـال: «قـام الفونـج في جزيـرة سـنار فاتحـدوا مـع العـرب وهاجمـوا العنـج فقتلوهـم شر قتلـة وخربـوا سـوبا خرابـاً تامـاً حتـى صـاروا يضربـون المثـل في خرابهـا فيقولـون (فـلان خـرب خـراب سـوبا) ثـم سـاروا إلى قـرِّي عنـد جبـل الرويـان شـمالي الخرطـوم فقتلـوا ملكهـا واسـتولوا عليهـا وأسسـوا مملكـة سـنار أقـام فيهـا الفونـج ومشـيخة في قـري أقـام فيهـا كبـير العـرب وقـد انقـرض النوبـة مـن تلـك المنطقـة وانقرضـت لغتهـم ولم يبـقَ منهـم إلا نفـر قليـل نواحـي شـندي وجريـف ود قمـر فاعتنقـوا الإسـلام واتخـذوا لغـة العـرب لغـة لهـم ولم يزالـوا مميزيـن عـن العـرب في الملامـح»[30].

مـن خـلال هـذا السـرد ورد ذكـر لجريـف وَدْ قَمَـرْ، وهـذه المنطقـة ومنطقـة كركـوج هـما مـن أقدم أحيـاء منطقـة الجريـف الحاليـة، وهـذا يؤكـد أن هاتـين المنطقتـين مـكان إقامـة النوبـة المسـيحيين في ذلـك الزمـان داخـل حـدود مملكـة سـوبا المسـيحية، فالمنطقـة بـلا شـك هـي تتبـع لإقليـم سـوبا المسـيحية.

أمـا في فـترة دولـة الفونـج بمنطقـة الدراسـة فهنالـك آثـار لمقـبرة كبـيرة جـداً بمنطقـة غابـة كركـوج الحاليـة أقـدم أحيـاء الجريـف شرق، وتقـع في الجـزء الجنـوبي منهـا، ونلاحـظ أن كل القبـور عُمِـل بهـا سـياج مـن الطـوب الأحمـر كبـير الحجـم، وهـذا يؤكـد قـدم هـذا النـوع مـن الطـوب، الـذي تـم انتاجـه في تلـك الفـترة، والـذي يشـير إلى اسـتخدامه في فـترة دولـة الفونـج بالمنطقـة، كـما يؤكـد أيضـاً تاريخيـة منطقـة الجريـف شرق (انظـر الصـورة رقـم 3).

الصورة رقم (3): مقابر كركوج التي بها الطوب الأحمر التي تعود لفترة الفونج.

ما يهمنا من هذه المقابر قبر الشيخ إبراهيم ولد أبو عمارة، والذي يقال: إنه قُتِل بمكانه الشيخ عجيب المانجلك في واقعة كركوج، الذي دفنه أبناءه بمنطقة قَرِّي. وفي هذا الخصوص ذكر أبو القاسم عثمان عن قتال كركوج: «الملك عدلان ولد آيا وهو صاحب قتال كركوج وهو الذي قتل الشيخ عجيب الكافوتة لما عصاه وخرج عن طاعته، سار إليه من سنار ويقال: إنه نزل بألتي وأرسل إليه الجيش فتلقاهم الشيخ عجيب المذكور ومن معه بمحل يقال: له ولد أبي عمارة. ومعروف بجوار كركوج – تقع كركوج على خطي عرض 35، 15 و 26، 32 وهي أقرب إلى الخرطوم – الجريف شرق الآن – فاقتتلوا هناك وقتل الشيخ عجيب المذكور وهرب أولاده إلى دنقلا وتاريخ الواقعة (1016هـ - 1607م) ثم أرسل إليهم الملك الشيخ إدريس ولد الأرباب وهي أول مرتبة ظهرت عند الفونج وأعطاهم الأمان فجاءوا معه وشيخ أحدهم وهو الشيخ العجيل»[31].

الشيخ عجيب الكافوتة ورد ذكره في كتاب الطبقات: «هو الشيخ عجيب الكبير أو الكافوتة ويلقب بالمنجلك، الابن الأصغر لعبدالله جماع زعيم القبائل العربية التي كان لها دور رئيسي في سقوط مملكة علوة ويزعم أن أمه بنت الشريف حمد أبو دنانة، ومن ثم فهو ابن خالة الشيخ إدريس ود الأرباب وقد آلت إليه زعامة مشيخة قَرِّي التي تمتد بين حجر العسل وأربجي كما يمتد نفوذ العبدلاب السياسي حتى حدود مصر مع مملكة الفونج في الشمال التي تسكن البطانة، ويرجح أنه حكم من 1570 إلى 1611، وقد قُتِل في تلك السنة، وذلك في عهد السلطان عدلان ولد آية، وكان رجلاً تقياً ورعاً، اهتم بتشجيع العلماء وأسس المساجد، كما عين عدداً من القضاة. والمتواتر أنه عمر طويلاً. وقد اشتهر أحفاده من بعده بأولاد عجيب حتى كاد اسم عجيب أن يصير لقباً على من خلفوه من مشيخة العبدلاب»[32].

من خلال هذا النص نلاحظ علاقة الشيخ عجيب بالشيخ إدريس ود الأرباب والذي شيدت له قبة بعد وفاته تمثل مزاراً إلى اليوم في منطقة العيلفون، وهي من أقدم القباب في شرق النيل، وبنيت من الطوب الأحمر وتقع شرق منطقة الجريف شرق، كما يؤكد ذلك وقوع منطقة الجريف شرق داخل حدود مملكة الفونج والتي تمتد شرقاً حتى ديار البجة، هذا بالإضافة إلى مقتل الشيخ عجيب في سنة 1611هـ الذي أسس المساجد وهذه المساجد معظمها بمنطقة الجريف شرق، التي تعتبر من أكثر المساجد عدداً في أفريقيا قاطبة، ولها تاريخها الطويل حيث شيدت بالطوب الأحمر، فهذا يؤكد استخدام الطوب الأحمر وانتاجه بالمنطقة منذ ذلك التاريخ حيث إن الشيخ عجيب عاش بين 1570 هـ حتى 1611هـ.

أما عن مقتل الشيخ عجيب فقد ورد في كتاب الطبقات أيضاً: «ومنها أخباره للشيخ عجيب حين شاوره على حرب الفنج. أن الملك عدلان ولد آية قتل الشيخ عجيب صاحب الكافوتة لما عصاه وخرج عن طاعته، قال للشيخ: الفونج غيروا العوايد علينا قال له: لا تحرب عليهم فإنهم يقتلوك ويملكوا ذريتك من بعد إلى يوم القيامة، فكان الأمر كما ذكر. ومنها اخباره للملك بادي بن رباط حين جاء سيد قوم للملك عدلان ولد آية طالبين قتال الشيخ عجيب، وبادي المذكور حوار الشيخ إدريس فسأله عن أمره فقال له: تقتلوا الشيخ عجيب وتنتصروا وأنت ترجع إلى سنار

ويكون الملك في ذريتك من بعدك، فكان الأمر كما قال. وقد ملك منهم خمسة رباط، وبادي ولده، أونسة ولد ناصر، وبادي ولده، وأونسة ولده ومدة ملكهم مائة سنة وعشر سنين. ومنها إخباره وأن ملك الفنج ينقضي وسبب انقضائه أنهم يتحاربون وينقسمون على قسمين تقاتل كل طائفة الأخرى حتى يضيع كل ملكهم. فمنها ما هو وقع وما هو منتظر الوقوع انتهى.. والله أعلم»[33].

يمكن أن نستنتج أن المعركة وقعت في منطقة الجريف شرق بكركوج، وهذا المكان يقع تحديداً جنوب الجريف شرق الحالية بغابة كركوج، كما تعرف الآن، وبها قبر الشيخ إبراهيم ود أبو عمارة، والآن هو مزار يزوره أهالي منطقة الجريف، وجوار هذا القبر توجد مقبرة كبيرة جداً، يقول عنها حسبو الفزاري: «إنها مقبرة طارئة دفن فيها على عجل قتلى هذه المعركة الذين لا بد كانوا بالعشرات وربما المئات، ويبدو أنه فيما بعد دفن بها الولي الصالح الشيخ موسى جعار البقرة»[34]، والشيخ موسى قبره الآن أصبح مزاراً بالنسبة لأهالي المنطقة ويوجد بتلك المقبرة.

أما عن الشيخ إبراهيم ود أبو عمارة فقد ورد في الروايات الشفهية بالمنطقة أن له مقام قتل بمكانه الشيخ عجيب المانجلك، الذي دفنه أولاده بعد ذلك بمنطقة قَرِّي وهذا المكان هو غابة كَرْكُوْجْ بمنطقة الجريف شرق ومن هذه الروايات نص الرواية التي رواها لنا حسن عباس ونأخذ منها هذه الجزئية.

«مَقَام الشَّيْخ إبراهيم وَلَد أَبُو عُمَارة حفيد الشيخ حجازي وَدْ حجازي وهذا الشيخ قديم جداً وزمنه من عهد الفونج والشيخ إبراهيم ود أبو عمارة، الشيخ عَجِيب المَانْجُلك اِتْوَفَّا جَنْب الشيخ إبراهيم ولد أبو عمارة عندما جاء الشيخ عدلان في كَرْكُوج قادم إليه من الجزيرة إلى أن قطع بهذا النيل والتقى في هذا المكان وقتل الشيخ عَجِيْب وتحول جثمانه ودفن في قَرِّي وتوفي جَنْب إبراهيم وَدْ أَبُو عُمَارَة، هذا المقام المشهور في الجِّرِيْف»[35].

وتذهب الرواية أكثر من ذلك وتقول:

«هذه الحِلَّة كانت تسمى بِحِلَّة الدَّبْكَرَة وكان يسكن فيها العَبْدُلاَّب والفُونْج والعَنَج في هذه المنطقة وبها مقابر كبيرة شرق هذا المقام مقام وَدْ أَبُو عُمَارَة»[36].

يمكن أن نقارن هذه الرواية بما ذكره حسبو الفزاري الذي يقول:

«ويلاحظ بأن بعض المؤرخين والباحثين اقتربوا من اكتشاف ذلك الموقع حينما ذكروا بأن الموقع في مكان ما يسمى (دَبَاكْرَة) أو (دَبْكَرَة) ود أبو عمارة، فقد كانت كركوج تسمى في الزمن القديم (الدَّبْكَرَة)، وحين يطلق على الموقع اسم دبكرة ود أبو عمارة فلا يكون المقصود (كَرْكُوْج) وإنما (وَدْ أَبُو عُمَارَة) لأن الموقع الأخير جاء مقيداً للموقع الأول، وود أبو عمارة هو موقع أقرب إلى كركوج»[37].

من خلال ما سبق يمكن أن نستنتج أن المكان الذي توفي فيه الشيخ عجيب المانجلك هو دبكرة ود أبو عمارة، جوار مقام ود أبو عمارة الموجود الآن بغابة كركوج، وهذه الحادثة في زمن الفونج، كما أن الشيخ إبراهيم ود أبو عمارة أيضاً عاصر فترة الفونج، وإلى الشرق من هذا المقام توجد مقبرة كبيرة مدفون بها الشيخ موسى جعار البقرة.

ما يهمنا في هذه المقبرة أن من أقدم أحياء الجريف كركوج «دبكرة ود أبو عمارة»، بالإضافة إلى وجود الطوب الأحمر كبير الحجم الذي بني به قبر الشيخ ود أبو عمارة، وبقية المقابر إلى الشرق من مقامه وهذا يؤكد استخدام الطوب الأحمر في تلك الفترة التي لها أكثر من خمسمائة عام، كما يؤكد – أيضاً- قدم منطقة الجريف شرق أي منطقة كركوج الحالية، وهي من أقدم أحياء الجريف. (انظر الصورة رقم 4).

الصورة رقم (4): قبر الشيخ ود أبو عمارة.

من خلال هذا التاريخ يمكن أن نلقي الضوء على أصل اسم الجريف التي من أقدم أحيائها كركوج وجريف ود قمر، وقمر اسم شخص من أتباع العبدلاب وكان يعمل بالزراعة على الجروف في المنطقة لذلك؛ سميت باسمه (جِريْف قَمَرْ)، والجَّرِف هو المساحة الصغيرة المتاخمة للنيل ذات الأرض الخصبة التي تمارس فيها الزراعة لذلك أخذت هذا الاسم والمقصود بكركوج أن «كوج» اسم شخص له كار أي حظيرة للحيوان ويرعى الأبقار لذلك عرف بـ «كَارْ كُوْج» وحرف الإسم إلى كركوج.

من الآثار التي تعتبر شاهداً على الوجود الأثري للطوب الأحمر بالمنطقة قبة الشيخ سرحان، قام بتصوير هذه القبة الرحالة خالد عشرية، في العام 1973م واستعان بهذه الصورة أبو القاسم عثمان في كتابه الجريف شرق منارة العلماء والصالحين[38]. (انظر الصورة رقم 5).

الصورة رقم (5): قبة الشيخ سرحان.

ذكر أنه شاهد هذه القبة التي بنيت بالطوب الأحمر وطول الطوبة (ضُرَاع) والشيخ سرحان ورد ذكره بكتاب الطبقات39(2).كما أضاف أن هنالك أيضاً قبة الشيخ عبد الرحمن الحادو الذي دُفِن قبل أربعمائة وخمسين سنة ووضع رأسه الشيخ حسن ود حسونة[40].

هذه القباب على سبيل المثال وليس الحصر بمنطقة الجريف شرق والتي بنيت بالطوب الأحمر، وتعود إلى فترة دولة الفونج والتي تؤكد – أيضاً- تاريخ منطقة الجريف شرق.

ذكر أبو القاسم: «أن الشيخ سرحان درس على يدي الشيخ حمد ود أم مريوم واستقر بجرف قمر وأوقد نار القرآن إلى أن وافته المنية سنة 1206هـ الموافق1792م»[41]، والآن بِجَرِف قَمَر له حي كامل يقطن به أحفاده ويعرف باسم حي سرحان بمنطقة الجريف شرق.

هنالك أيضاً مجموعة كبيرة من المساجد القديمة التي تعود إلى فترة الفونج والتي بنيت بالطوب الأحمر ونذكر هنا على سبيل المثال المسجد الموجود الآن في حي كركوج الذي بناه الشيخ عجيب وأوقف عليه دار والذي ذكر بكتاب الطبقات وبناه للشيخ حمد النِّجَيِّض العَوَضَابي، الذي أخذ الطريق من الشيخ تاج الدين البهاري وهو أحد الأئمة الذين طلبهم الشيخ حسن للطريقة وأقروا الناس القرآن دهراً طويلاً. وكان له عند الشيخ عجيب مقام ومكانة. وحارب معه وقتل في كركوج في قتال الفونج[42].

هذه المباني الآن تم تجديدها حيث اختفت معالمها القديمة تماماً، مثل قبة الشيخ صباحي، التي تغيرت ملامحها بعد التجديدات التي حدثت فيها، لكن ما يهمنا أنها تؤكد وجود حرفة الطوب الأحمر في فترة الفونج، والتي تمثل جزءاً كبيراً من تاريخ منطقة الجريف شرق، وهنالك – أيضاً- الكثير من المواقع المتمثلة في القباب والأضرحة والمساجد، وهذه الأخيرة اشتهرت بها منطقة الجريف شرق حيث يوجد بها الآن ثلاثين مسجداً وهذه نتيجة طبيعية؛ لأن المنطقة عرفت بأهل

العلم والصالحين والتصوف، فلم تجد بها عائلة إلا وجَدُّها من مشاهير الرجال الذين يشار لهم بالبركة والصلاح، ومثالاً لا حصراً أحفاد الشيخ عبد الرحمن الحادو، و الشيخ صباحي، والشيخ صغيرون، والشيخ العبيد محمد بدر، والشيخ حمد ود أم مريوم، والشيخ خوجلي أبو الجاز، والشيخ إدريس ود الأرباب، والشيخ عبد الله العركي، والشيخ أحمد الطيب البشير (رَاجْل أُمْ مَرَّحِي) وآخرون، ومعظم هؤلاء الشيوخ والأولياء ورد ذكرهم في كتاب الطبقات في خصوص الأولياء والصالحين والعلماء في فترة دولة الفونج، وهذا يؤكد تاريخية منطقة الجريف شرق.

أما في الفترة التركية يذكر أبو سليم نقلاً عن مذكرات محمود القباني عن تاريخ الخرطوم إذ يقول: «ومنذ نشأتنا وجدناها مدينة زاخرة بالعمران وبنايات الآجر (الطُّوْب الأَحْمَر) والحجارة المنضدة وكانت تستخرج من حفر الشاطئ الغربي بأم درمان . كما أن القمائن التي تشوى بها اللبن كانت في الضاحية الشرقية البَرَارِي والجِّرِيْفَات»[43].

هذا يؤكد وجود كمائن الطوب الأحمر بمنطقة الجريف شرق إبان الفترة التركية، وممارسة هذه الحرفة في تلك الفترة بالمنطقة، وفي موضع آخر من كتاب تاريخ الخرطوم خلال تلك الفترة ونتيجة للنهضة العمرانية التي انتظمت الخرطوم ذكر أبو سليم أيضاً:

«اعتمد خورشيد في أول الأمر على الطوب الذي جلبه من خرائب سوبا، ويقال: أنه عهد بذلك إلى عبد السلام زعيم المغاربة والذي كان مرابطاً بقومه في موضع حلة كوكو بالخرطوم بحري»[44].

في هذا الخصوص يمكن أن نضيف ما ذكره أحمد أحمد سيد أحمد عن تاريخ الخرطوم – أيضاً- إذ يقول: «وقد استعان خورشيد بطوب سوبا في إقامة مبنى المديرية الواقع غرب السراي مباشرة وكذلك الجامع»[45].

في موضع آخر يذكر أحمد أحمد سيد أحمد:

«هدم الحكمدار عبداللطيف باشا (اكتوبر 1851-1849م) مبنى اللبن. الذي أقامه محو بك وأدخل عليه خورشيد بعض التحسينات – وأعاد بناء السراي من جديد مستعيناً بالآجر المنقول من بقايا مدينة سوبا وبعض المباني القديمة في أبي حراز التي ترجع إلى العهد المسيحي، وتم ذلك في تسعة أشهر فقط»[46].

في الفترة المهدية هنالك معركة دارت بمنطقة الجريف شرق، وذلك حينما أراد جيش المهدي حصار غردون، إذ ترك أَبُوقَرْجَه قوة بقيادة محمد الطيب البصير في الجريف، وتقدم هو بقوته الرئيسة حتى بلغ بري، بنى طابية في مواجهة طابية المدينة بينما شرع محمد الطيب في بناء طابية في الجريف وقد عسكر الطاهر بن العبيد بدر في منطقة تقع بين أبي قرجة ومحمد الطيب، وقد شرعت القوات الثلاث تقذف الحمم على المدينة. وقد واصل غردون انتصاراته ونقل المعركة إلى أم ضبان ولكنها هزمت هزيمة نكراء، فاستعاد الأنصار أنفاسهم قليلاً[47]. في تلك الفترة حمل الشيخ بابكر عبدالقادر خليل محمد حجازي راية الجهاد مع الثورة المهدية، وكان أميراً في جيش الإمام المهدي، حتى لقب بالأمير والذي تم انضمامه مؤخراً إلى حصار الخرطوم من الناحية الشرقية

تحت قيادة الشيخ العباس محمد بدر، الذي اجتاز النيل الأزرق ونزل في الجريف وحاصر المدينة منها[48].

بعد انقضاء الفترة المهدية بمقتل الخليفة عبدالله التعايشي عام 1899م، استقر الشيخ بابكر بالجريف كركوج، وأسس بها مسجده العتيق وكان افتتاح هذا المسجد متزامناً آنذاك مع عدد كبير من المصالح والمنازل، التي قام بتشييدها الإنجليز في العام 1902م، منها رئاسة المديرية والمستشفى العسكري والبريد والبرق والمخازن والأشغال والفندق الكبير والسوق والمسجد وقصور يمتلكها الوطنيُّون[49].استمر هذا المسجد بالجريف كركوج إلى اليوم، وبه خلوة لتعليم القرآن، وما يهمنا عراقة هذا المسجد الذي بني بالطوب الأحمر وتزامن بناءه مع مجموعة من المباني في فترة الحكم الإنجليزي والذي يؤكد وجود الطوب الأحمر واستمراره إبان فترة الاستعمار الإنجليزي.

الخاتمة:

من خلال كل الإشارات السابقة التي توضح البدايات الأولى لاستخدام مادة الطوب الأحمر في البناء منذ فترة حضارة كرمة الكلاسيكية في الدفوفة الغربية، والتي تم استخدامها الفعلي في الفترة المروية، وتم انتشارها الواسع خلال الفترة المسيحية والإسلامية، وكل هذه الفترات المختلفة نجد لها الدلائل الأثرية بمنطقة الجريف شرق، والتي تؤكد قدم الوجود الأثري للطوب الأحمر بالمنطقة وبالتالي قدم المنطقة نفسها وعراقتها، واستخدام مادة الطوب الأحمر في البناء منذ الفترة المروية والمسيحية وفترة الفونج والفترة التركية وفترة الحكم الإنجليزي المصري، من خلال الأدلة التي تعرضنا لها بالشرح والتحليل في الفقرات السابقة من خلال الدراسات التي تمت بالرجوع إلى السجل الأثري والتاريخي.

من خلال العرض السابق للورقة تم تأكيد أن منطقة الجريف شرق تأريخياً تقع داخل حدود مدينة سوبا المسيحية وعاصرت – أيضاً- منطقة سوبا منذ الفترة المروية وتعتبر من أقدم المدن؛ وذلك لأن مدينة سوبا المسيحية لها امتدادها داخل منطقة الجريف شرق الحالية وفي الجزء الشرقي تحديداً هنالك بقايا لآثار مسيحية، تعود إلى تلك الفترة، وتعتبر من بقايا مدينة سوبا.

كذلك تم تقديم العديد من الدلائل التي تؤكد وجود حرفة الطوب الأحمر في فترة الفونج، والتي تمثل جزءاً كبيراً من تاريخ منطقة الجريف شرق، وهنالك – أيضاً- الكثير من المواقع المتمثلة في القباب والأضرحة والمساجد، وهذه الأخيرة اشتهرت بها منطقة الجريف شرق حيث يوجد بها الآن ثلاثين مسجداً وهذه نتيجة طبيعية؛ لأن المنطقة عرفت بأهل العلم والصالحين والتصوف، فلم تجد بها عائلة إلا وجَدُّها من مشاهير الرجال الذين يشار لهم بالبركة والصلاح، ومثالاً لا حصراً أحفاد الشيخ عبد الرحمن الحادو، و الشيخ صباحي، والشيخ صغيرون، والشيخ العبيد محمد بدر، والشيخ حمد ود أم مريوم، والشيخ خوجلي أبو الجاز، والشيخ إدريس ود الأرباب، والشيخ عبد الله العركي، والشيخ أحمد الطيب البشير (رَاجُل أُمْ مَرَّحِي) وآخرون، ومعظم هؤلاء الشيوخ والأولياء ورد ذكرهم في كتاب الطبقات في خصوص الأولياء والصالحين والعلماء في فترة دولة الفونج، وهذا يؤكد تاريخية منطقة الجريف شرق.

أمـا في الفـترة التركيـة فقـد ذكـر أبـو سـليم نقـلاً عـن مذكـرات محمـود القبـاني عـن تاريـخ الخرطـوم في أكـثر مـن موضـع كـما بيَّنـا في هـذه الورقـة وجـود كمائـن الطـوب الأحمـر بمنطقـة الجريـف شرق إبـان الفـترة التركيـة، وممارسـة هـذه الحرفـة في تلـك الفـترة بالمنطقـة نتيجـة للنهضـة العمرانيـة التـي انتظمـت الخرطـوم في ذلـك الوقـت.

أيضـاً تـم الإسـتدلال ببعـض المبـاني التـي بنيـت بالطـوب الأحمـر في فـترة الحكـم الإنجليـزي وهـذا يؤكـد وجـود الطـوب الأحمـر واسـتمراره إبـان فـترة الاسـتعمار الإنجليـزي.

مـن خـلال كل الدلائـل التـي تـم اسـتعراضها في هـذه الورقـة التـي تناولـت تاريـخ حرفـة الطـوب الأحمـر بمنطقـة الجريـف شرق يتضـح لنـا أن هـذه الحرفـة لهـا وجـود تاريخـي ضـارب بجـذوره في القـدم منـذ الفـترة المرويـة واسـتمرت عـبر الفـترات التاريخيـة المختلفـة مـروراً بالفـترة المسـيحية وفـترة الفونـج والفـترة التركيـة وحتـى فـترة الاسـتعمار الإنجليـزي المـصري، وهـذا يوضـح مـدى الاسـتمرارية الحضاريـة التـي تؤكـد الهويـة الثقافيـة بالمنطقـة مـن خـلال حرفـة الطـوب الأحمـر وممارسـتها في الجريـف شرق.

الهوامش:

(1) Salah el-din Mohamed Ahmed, L'agg lomeration Napat'eene De Kerma, Enquete arch'eologique et ethnographique en milieu urbain. Edition Recherche sur les civilizations. Paris, 1992. pp 95-103.

(2) أحمد محمد علي الحاكم، شارلس بونيه، كرمة مملكة النوبة تراث إفريقي من عهد الفراعنة، إشراف صلاح الدين محمد أحمد، شركة دار الخرطوم للنشر والتوزيع، الخرطوم، 1997م، ص 031.

(3) أحمد محمد علي الحاكم، شارلس بونيه، نفسه، ص 117.

(4) أحمد محمد علي الحاكم، شارلس بونيه، كرمة مملكة النوبة تراث إفريقي من عهد الفراعنة، مرجع سابق، ص 157.

(5) أحمد محمد علي الحاكم، شارلس بونيه، نفسه، ص 159.

(6) وليام ي. آدمز، النوبة رواق أفريقيا، ترجمة وتقديم: محجوب التجاني محمود، مطبعة الفاطميا أخوان، القاهرة، 5002م، ص 791.

(7) صلاح عمر الصادق، الحضارات السودانية القديمة، مكتبة الشريف الأكاديمية، الخرطوم، 7002م، ص 95.

(8) عمر حاج الزاكي، مملكة مروي التاريخ والحضارة، سلسلة إصدارات وحدة تنفيذ السدود، إصدارة رقم (7)، مطابع الصالحاني، الخرطوم، 6002 م، ص 13.

(9) عمر حاج الزاكي، نفسه، ص 601.

(10) عمر حاج الزاكي، نفسه، ص 144.

(11) عمر حاج الزاكي، نفسه، ص 146.

(12) وليام ي. آدمز، النوبة رواق أفريقيا، مرجع سابق، ص 294.

(13) صلاح عمر الصادق، الحضارات السودانية القديمة، مرجع سابق، ص 95.

(14) صلاح عمر الصادق، نفسه، ص 96.

(15) صلاح عمر الصادق، نفسه، ص 98.

(16) صلاح عمر الصادق، نفسه، ص 102.

(17) Francis Geus, Rescuing Sudan Ancient Cultures, A cooperation Between France And Sudan In The Field of Archaeology, French Unite of the Directorate General of Antiquities and national Museums of the Sudan, 1984. pp 38 -39.

(18) صلاح عمر الصادق، تقارير آثارية عن المواقع الأثرية بالسودان، مكتبة الشريف الأكاديمية، الخرطوم، 2006م، ص ص 69-67.

(19) محمد إبراهيم أبو سليم، تاريخ الخرطوم، دار الجيل، ط3، بيروت، 1991م، ص ص 9 – 10.

(20) أحمد أحمد سيد أحمد، تاريخ مدينة الخرطوم تحت الحكم المصري (1820 – 1885م)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2000م، ص ص 21-20.

(21) أحمد أحمد سيد أحمد، نفسه، ص 20.

(22) ج. فانتيني، تاريخ المسيحية في الممالك النوبية القديمة والسودان الحديث، الخرطوم، 1978م، ص 110.

(23) ج. فانتيني، نفسه، ص 113.

(24) ج. فانتيني، نفسه، ص 207.

(25) قيصر موسى الزين، «المدن السودانية في كتابات الرحالة المسلمين»، مجلة الخرطوم، تصدر عن وزارة الثقافة والشباب والرياضة، مارس، أبريل، العدد (29)، 2007م، ص ص 36 43-.

(26) ب. ل. شيني، بلاد النوبة في العصور الوسطى، ترجمة، نجم الدين محمد شريف، مصلحة الآثار السودانية، رسالة المتحف (2)، الخرطوم، 1954م، ص ص، 19-10.

(27) Derek A. Welsby, SOBA II, Renewed excavations with in the metropolis of the kingdom of Alwa in Central Sudan. British Museum press. pp 269 – 277.

(28) الراوي حسن عبد الصادق الطيب المبارك، شريط رقم: م دأأ/4367، الجريف شرق، 23/5/2009م.

(29) مهدي الفحل، تاريخ وأصول العرب بالسودان، الخرطوم، 1976م، ص 22.

(30) نعوم شقير، جغرافية وتاريخ السودان، دار عزة للنشر، الخرطوم، 2007م، ص ص 363-362.

(31) محمد بن حمد بن الحاج الفائز، الجريف شرق منارة العلماء والصالحين، تحقيق، أبو القاسم عثمان الطيب خير، مطبعة جامعة الخرطوم، الخرطوم، 2005م، ص 150.

(32) محمد النور بن ضيف الله، كتاب الطبقات في خصوص الأولياء والصالحين والعلماء والشعراء في السودان، حققه: يوسف فضل حسن، دار التأليف والترجمة والنشر، جامعة الخرطوم، مطابع دار ومكتبة الهلال، ط4، الخرطوم، 1992م، ص 40.

(33) محمد النور بن ضيف الله، كتاب الطبقات في خصوص الأولياء والصالحين والعلماء والشعراء في السودان، مرجع سابق، ص ص 65-63.

(34) حسبو الفزاري، أم دوم في زاكرة التاريخ، الجزء الثاني، شركة مطابع السودان للعملة، الخرطوم، 2009م، ص 1315.

(35) الراوي حسن عباس، شريط رقم: م دأأ/4340، الجريف شرق، 2009/6/6م.

(36) الراوي حسن عباس، نفسه.

(37) حسبو الفزاري، أم دوم في ذاكرة التاريخ، الجزء الثاني، مرجع سابق، ص 1315.

(38) محمد بن حمد بن الحاج الفائز، الجريف شرق منارة العلماء والصالحين، مرجع سابق، ص 18.

(39) محمد النور بن ضيف الله، كتاب الطبقات في خصوص الأولياء والصالحين والعلماء والشعراء في السودان، مرجع سابق، ص 224.

(40) الراوي أبو القاسم عثمان، شريط رقم: م دأأ/4339، الجريف شرق، 30/5/2009م.

(41) أبـو القاسـم عثـمان، عقـد الـدر مـن ود حسـونة إلى ود بـدر، دار جامعـة أم درمـان الإسـلامية للطباعـة والنـشر، أم درمـان، 1982م، ص 72

(42) محمد النور بن ضيف الله، مرجع سابق، ص 224.

(43) محمد إبراهيم أبو سليم، تاريخ الخرطوم، مرجع سابق، ص 57.

(44) محمد إبراهيم أبو سليم، نفسه، ص 30.

(45) أحمـد أحمـد سـيد أحمـد، تاريـخ مدينـة الخرطـوم تحـت الحكـم المـصري (1820 – 1885م)، مرجـع سـابق، ص 107.

(46) أحمد أحمد سيد أحمد، نفسه، ص 107.

(47) محمد ابراهيم ابوسليم، تاريخ الخرطوم، مرجع سابق، ص ص 71-70.

(48) محمد إبراهيم أبو سليم، نفسه، ص 67.

(49) محمد إبراهيم أبو سليم، نفسه، ص 140.

قيادة المرأة في إفريقيا السودان وجنوب إفريقيا نموذجاً

د. عبد المنعم أحمد عبد الله بابكر
قسم الآثار – كلية الآداب - جامعة إفريقيا العالمية

مستخلص

إن كلا من السودان القديم وجنوب إفريقيا يتقاسمان العديد من الملامح الثقافية والدينية، من بين ذلك تأتي أسماء مثل آمونتوف، مانيكونغو، مونوموتابا، آركماني والإلهة سبأ، كوري أو ميري أو (مروي) ربما.لذا فإن القيادة الروحية للمرأة في جنوب إفريقيا يمكن ملاحظة تشابه ملامح أصولها مع السودان القديم خاصة إلى فترة حضارة نبتة- مروي (الجزئين الثاني والثالث) من حضارة كوش في السودان. ويمكن ربط هذه المشابهات مباشرة مع المعتقدات الأفريقية الأصلية المرتبطة بالإلهة موارى والإله آمون أو أماني. ذلك في ظل مراعاة الأسبقية الزمنية للحضارة السودانية الكوشية القديمة. فأسرة قبيلة الموچاچي التي مازالت ملكاتها يحكمن في جنوب إفريقيا بصورة متواصلة منذ عام 1800م وحتى عام 2006م موعد آخر تتويج لملكاتها تظهر «ملكات المطر» فيها تشابهات متطابقة, من حيث تطابق الحكم, مع ملكات السودان الكوشيات (الكنداكات) أو زوجات الإله آمون في السودان القديم.كما يمكن أيضاً ملاحظة تشابه أصول الملوكية الدينية هنا بين السودان و جنوب إفريقيا في عصورها الوسطى لإبراز الأصول المشتركة لكل منهما. وذلك مما قد يعين في فهم أصول ملامح القيادة النسوية الحديثة في كل منهما. فمن شأن مثل هذه الدراسة تبيان المعتقد الإفريقي ودوره المهم في إسهام القارة الإفريقية في مسيرة الحضارة الإنسانية.

الكلمات المفتاحية: الكنداكات, الموچاچي, ملكات المطر, الإله آمون, الإلهة موارى, القيادة الروحية للمرأة

Female Leadership in Africa
(Sudan and South Africa are an example)

Dr. Abdelmonim Ahmed Abdalla

Abstract:

Ancient Sudan and southern Africa share many theological concepts besides the Mwari culture and religion. These theological concepts include Amunthph, Manikongo, Monomotapa, Arkamani and the goddess Saba, Kore orMeri. The concept of Meri is a variant of Mari, Mwari, Meru and Meroe. The origins of principles of female leadership in southern Africa can be traced back to Ancient Sudan, specifically to Napan- Meroitic period in Sudan. these principles could directly be linked to the African cosmology and the goddess Mwari and god Amun or Amani in respect of time span of kushite civilization of Ancient Sudan.The Mudjadji Dynasty of southern Africa, which still exists, the

queens having ruled continuously from 1800 to 2006 so far, could be traceable to Ancient Sudan. The Rain Queens show striking similarities to the Candaces of Kush the and the God's Wives of Amun of Ancient Sudan.The divine origins of kingship could also be traced back to Ancient Sudan and Medieval Africa to show the common origins of both, in lessons that may be applicable to modern principles of leadership. Such a study would explain role of the African Myth in making significant contribution to human civilization.

Key words: Candaces, Mudjadji, Rain Queens, god Amun, goddess Mwari, female leadership.

مقدمة:

إن فكـرة هـذا المـشروع البحثـي جـاءت للنظـر المتـأني في المشـابهات الثقافيـة بـين السـودان القديـم (كـوش) في فترتيهـا الأخيرتـين (نبتـة و مـروي), وبـين جنـوب إفريقيـا في عصـور هـا مـا بعـد الوسـيطة عنـد أسرة قبيلـة الموچاچـي, (و الكلمـة موچاچـي تعنـي «الأم» أو «إبنـة الشـمس") وهـي الأسرة التـي حكمـت شـعب بالوبيـدو في محافظـة لومبوبـو في شـمال جنـوب إفريقيـا لأكـثر مـن 400عـام, وهـي قبيلـة صغـيرة وفـرع مـن المجموعـة اللغويـة الكبـيرة المعروفـة سـوتو الشـمالية (كابيلـو:2021, 1). وتعتـبر ملـكات القبيلـة ربـات للمطـر, ظللـن يحكمـن القبيلـة بقداسـة منـذ 1800م وحتـى الآن (224سـنه) عندمـا تولـت الملكـة موجاجـي الأولى الحكـم بعـد صراعـات داخـل الأسرة القبليـة حسـمتها بتحقيـق السـلم والإسـتقرار في القبيلـة, وسـتتوج آخـر الملـكات ربـة للمطـر والقبيلـة في العـام 2026م بعـد بلوغهـا سـن العشريـن وهـي الآن إحـدى فتيـات القبيلـة وتبلـغ حاليـا مـن العمـر ثمانيـة عـشر عامـا (شـكل 1).

شكل رقم1: الملكة Masalanabo سوف تتوج في عام 2026. (تصوير الباحث: 2016).

و تبرز أهمية ملكات الموجاجي من حقيقتين :

أنهن الملكات الوحيدات المعروفات اللائي حكمن في إفريقيا جنوب الصحراء.

أنهن حكمن في إفريقيا حيت السلطة المطلقة للرجل. (كابيلو: 2021, 6).

وقد تبلورت فكرة هذا المشروع البحثي بصورة أساسية في حوالي العام 2016, مباشرة قبيل وبعيد انعقاد مؤتمر براغ الثاني عشر للدراسات المروية عندما التقى باحثون من السودان وجنوب إفريقيا في الخرطوم لما زارها الباحث الجنوب إفريقي الدكتور ماثول موتشيكقا مؤسس ومدير معهد كارا للتراث في بريتوريا وهو في ذاك الوقت رئيس اللجنة العدلية في البرلمان الجنوب إفريقي في معية كل من السيد سفير السودان لدى جنوب إفريقيا حينها و السيد رئيس منظمة سوكارا (Sukara-Sudan).وبدأت النقاشات العلمية التفصيلية حول المشروع من خلال الملاحظات والمشاهدات الميدانية خلال زيارة هؤلاء الباحثين لآثار موقع التراث العالمي في جزيرة مروي في مواقعها الرئيسية في مدينة مروي القديمة (البجراوية) وفي مدينتي المصورات الصفراء والنقعة و بعض المواقع الأثرية في المنطقة ثم اتبعت الزيارة إلى موقع التراث العالمي في جبل البركل والمواقع الأثرية حوله. وفي ذات العام تواصلت النقاشات العلمية والإدارية حول المشروع في بريتوريا في جنوب إفريقيا خلال زيارة الباحثين السودانيين لها وقفوا من خلالها على تلك «المتطابقات» الثقافية المكونة لعناصر التراث المادي والروحي التي تستند عليه فكرة المشروع وتحاول هذه المرحلة من البحث أن تعكسه في مرحلته الراهنة لقارئ هذه الورقة.

إن هناك ما يشير إلي تشابه ملامح القيادة النسوية في جنوب إفريقيا مع السودان أو ما كان يعرف (بأثيوبيا), وتحديداً إلى فترتي نبته ومروي في السودان، والمزيد من البحث في هذه الأصول قد يوضح بجلاء تلك التشابهات في الأصول الإفريقية لهذه الملامح. ويتشارك السودان القديم وجنوب إفريقيا في العصور ما بعد الوسيطة العديد من المفاهيم الثقافية والدينية المشتركة التي من بينها على سبيل المثال Amunthph, Manikongo, Monomotapa, Arkamani بالإضافة إلى الإلهة Saba وKore أو Meri التي ترد وفقاً لهذه المفاهيم بصور متعددة منها Mari, Mwari, Meru بالإضافة إلى مروي Meroe (ماثول:2010: 11). وقد كان للمعبود السوداني القديم آمون Amun أو أماني Amani في وادي النيل القديم (السودان القديم ومصر) صلات بملكية المرأة مثل حتشبسوت و ايزيس (M(sasi أو (Isis) بالإضافة إلى العديد من كنداكات السودان القديم، أما في جنوب إفريقيا فان هذه الآلهة تتمثل في Mazarira وهي زوجة وأخت الإله Mwanamu-tapa, أو Nehanda زوجة وأخت الإله Matope أو Mwanamutapaو Mudjadji ابنة وزوجة الملك Mogudo. فنظام زواج الأخ من أخته في وادي النيل وفي جنوب إفريقيا هو نظام متجذر في الروح الإفريقية و مرتبط بأصول فلسفتها وهويتها وثقافتها وتقاليدها التي انعكست في أشكال حياتيه مختلفة (ماثول: 2010: 11). و المعروف أن للإلهة إيزيس دور في العلاقات الأسرية من خلال علاقتها بالزوج الأخ اوزيريس بحسب الألوهية المصرية وكذلك عند الأباطرة الرومان (كابيلو: 2021, 8). والأمر الجدير بالملاحظة هنا هو توجه أنظار المملكة المصرية الحديثة التي قامت في مصر

بعد حكم الهكسوس إلى السودان واستمرار التأثر بتقاليده الثقافية, حيث ابتدأ الحكام المصريون طقوس زواجهم من معبد آمون في جبل البركل في نبتة عاصمة السودان القديم. وتعتبر الملكة نيفركاري Neferkare زوجة الملك أحمس Ahmose أولى زوجات الإله آمون, وهو اللقب الرسمي الذي يعني أن تكون زوجة الملك هي زوجة الإله آمون. وهذا تقليد ثقافي استمدته الحضارة المصرية القديمة من السودان القديم لتعيد به صياغة تقاليدها الثقافية الروحية. كما أن الملكة المصرية القديمة حتشبسوت يمكن أيضا اعتبارها مثالاً آخر على هذا التقليد (ماثول: 2010: 11).

وبذا فان الملكية المؤلهة يمكن إعادة جذورها إلى السودان القديم وإفريقيا في عصورها الوسطى لإبراز الأصول المشتركة لكل منهما من خلا ل إبراز خصائصها التي استندت عليها ملامح القيادة الحالية في كل من السودان وجنوب إفريقيا.

وأسرة الموچاچي التي ما تزال حتى الآن تحكم ملكاتها في جنوب إفريقيا منذ 1800م تظهر ملكاتها تشابهاً مع ملكات السودان الكوشيات (الكنداكات) وزوجات الإله آمون في مصر القديمة. (أشكال: 2، 3، 4، 5).

شكل رقم (2) الملكة1959-1896) Khesetwane Mudjadji) (ماثول: 2010: 92).

شكل رقم (3): الملكة Makoma Mudjadji (1960 - 1980) (ماثول: 2010: 93).

شكل رقم (4) الملكة 1981 - 2001) Makope Mudjadji) (ماثول: 2010: 94).

شكل رقم (5) الملكة (2002 - 2004 Makobo Mudjadji) (ماثول: 2010: 95).

ولذلك فان دراسة أصول هذه المعتقدات الأفريقية ودراسة ملامح هذه القيادة النسوية للمرأة في السودان القديم و في جنوب إفريقيا من شأنها الإسهام في الحفاظ على استمرارية تلك التقاليد الموروثة في العديد من المجتمعات في إفريقيا (ماثول: 2010: 12). وفوق كل ذلك، فان مثل هذه الدراسة من شأنها التأكيد على إسهام هذه المعتقدات الإفريقية في مسيرة الحضارة الإنسانية. ذلك بعكس النظرات السابقة السالبة المجحفة في حق المجتمعات الإفريقية.

فهنا, في إفريقيا, توجد عائله ومراسم اجتماعية لنزول المطر مقصورة فقط على العائلات الملوكية والنبلاء, وهناك مراسم أخرى مقصورة فقط لاعتلاء العرش لملك أو ملكة. (ماثول: 2010: 13). ويمكن استخلاص كل ذلك من الدراسة والبحث في تاريخ التقاليد لأسرة الموچاچي ومقارنتها مع الأسرة الكوشية في السودان القديم (ماثول: 2010: 13).وتكاد كل الإنشاءات التذكارية, خاصة المعابد المعروفة حتى في موقع النقعة, تكون قد بنيت خلال فترة حكم الملك المروي نتكاماني و زوجته الملكة أماني توري خلال القرن الأول الميلادي، حيث يعتبر هذان الزوجان الملوكيان هما بناة نهضة ازدهار البناء في الفترة المروية. وتشهد مواقع عديدة منتشرة على نطاق واسع من السودان على ذلك (كروبر:2016: 3).

فقد كانت مقصورة الإلهة (حاتور) الملحقة بمعبد الأسد في النقعة, أشهر مواقع المدن الدينية المروية ,تعرف حتى وقت قريب (بالكشك الروماني) إلى أن اكتشفت مؤخراً ألواح حجرية

منقوشة على الحجر الرملي تشير إلى الإلهة (حاتور), التي يرمز لها عادة بصورة بقرة, داخل المقصورة فأصبح اسمها هو الاسم الجديد لهذا المبنى (كروبر: 2016 : 6), (شكل رقم 6). ويتكرر رمز البقرة في كل المباني التذكارية الدينية في كل مدن المملكة الكوشية القديمة, وأشهرها في المعابد النبتية حول الجبل المقدس في البركل. ويمكن ملاحظة التشابه هنا في شعائر وطقوس استدعاء المطر عند الموچاچي التي تبدأ في كل عام بدخول أحد المباني والتغطية بالتراب وطلب الرحمة من الآلهة، ثم يأتون ببقرة كرمز لخصوبة الملكة ويحضرون الرماح وقشور بيض النعام واللؤلؤ ويحتسون الجعة طلباً لهطول المطر. ويتجلى وجه الشبه بصورة واضحة في اتخاذ البقرة كرمز أنثوى مقدس فى هذه المراسم الطقسية الدينية الاجتماعية ذات الدلالات الاقتصادية والسياسية.

شكل رقم (6): مقصورة الالهه حاتور (كروبر: 2016: 5-4).

و للأخت الكبرى في أسرة الموچاچي الزعامة الروحية على الأسرة (كريج وكريج: 1943, 79). كما أن لها دور مهم في طقوس توقعات هطول المطر واستدعائه, فمثلا ترقص الحية وترقص الفتاة خلال الطقس, وترمز الحية للإلهة والتجدد (بارن وكاشفورد: 1993, 321).والمعروف أن الحية (الكوبرا) تعتبر مثالا حيا في كل الطقوس الدينية في دولة كوش.

أما معبد الأسد في النقعة الذي بني بواسطة أماني توري ونتكاماني في حوالي القرن الأول الميلادي (شكل رقم 7) فان النقوش فيه تشير إلى الملكة وهي تبطش بأعدائها وهو الأمر الذي

انحـصر فقـط في التقاليـد الثقافيـة المرويـة (كروبـر: 2016 : 10).

شكل رقم (7): البوابة الصروحية في معبد الأسد في النقعة (كروبر: 2016: 9-8).

وتظهـر نقـوش الحائـط الجنـوبي الخارجيـة لمعبـد الأسـد في النقعـة الـزوج الملـوكي وابنهـما الأمـير في مواجهـة صـف مـن خمسـة مـن الآلهـة الذكـور بقيـادة الإلـه الأسـد أبادمـاك (شـكل رقـم 8) والى اليسـار تبـدو الملكـة للمـرة الثانيـة ممتلئـة القـوام (نموذجـا إفريقيـا) مصحوبـة أيضـاً بالأمـير. (كروبـر: 2016: 11).

شكل رقم (8): الحائط الجنوبي لمعبد الأسد في النقعة (كروبر: 2016: 11).

أما الحائط الأيمن في الجهة الشمالية من المعبد و الموازي للحائط الجنوبي (شكل رقم 9), فهو مزين بنقوش للملك والملكة والأمير في الجهة اليسرى يقابلون صفاً مكونا من خمس إلهات، الأولى هي الإلهة ايزيس تحمل حبلاً تلف في نهايته سجناء وتتبعها الإلهات موت وأميسيمي وحاتور ثم ساتيت. وتظهر أميسيمي, التي تظهر مرتبطة دائماً بالإله أبادماك, في هذا المشهد بشعر قصير أجعد نسبياً و مرتدية تاجاً يحمل نِسرين وهي تبدو كاملة الملامح الإفريقية و تحمل في يدها اليسرى ما يبدو أنه حبل مربوط في نهايته أعداء (كروبر: 2016: 12).

شكل رقم (9): الحائط الأيمن في الجهة الشمالية لمعبد الأسد. (كروبر: 2016: 12).

أما زخارف مداخل صالات معبد آمون في النقعة, فإنها تظهر كذلك مجدداً الزوج الملوكي رافعاً يديه فيما يشبه الصلوات أمام عدد من مختلف الآلهة والإلهات. ويتكرر نفس المشهد في عدد من أعمدة المبنى وملامحه المعمارية الأخرى في مشاهد غير معروفة في أماكن أخرى وهي تحمل أسماءً لأفراد الأسرة المالكة (كروبر: 2016 : 20). وتمثال الإلهة ايزيس (شكل رقم 10) الذي يبلغ ارتفاعه خمسين سنتمتراً, والمصنوع من القاشاني الأخضر, فيبدو متفرداً ليس فقط من حيث حجمه ولكن من حيث الملامح الفنية، فالإلهة ايزيس هنا تظهر في شكل مطابق تماماً للذوق الإغريقي الروماني من حيث الملابس وتصفيف الشعر المنسدل على الأكتاف, غير أن هذا الذوق الهيلينستي قد أضيف إليه الذوق المروي المحبب لدى المرويين من حيث امتلاء قوام الجسم ذي الطابع المروي المعروف ذي الأصول الإفريقية (كروبر: 2016 : 26). وهي إلهة الخصوبة البشرية و الأرض.

شكل رقم (10): تمثال الإلهة ايزيس (كروبر: 2016: 26)

أما مسلة صغيرة من الحجر الرملي عثر عليها في معبد أمون بالنقعة (شكل رقم 11), فان نقوشاً عليها تظهر مجدداً الإلهة أميسيمي وعلى خدودها شلوخ تشير إلى تجذر هذه العادة الممارسة حتى وقت قريب في سودان اليوم على يسار المشهد تقابل الملكة أماني شخيتو الواقفة على يمينها وممتلئة القوام كذلك, وتباركها الإلهة أميسيمي بوضع يدها اليسرى على مؤخرة رأس الملكة, وبيدها الأخرى تلامسها من كوعها في إشارة إلى الحماية والقبول والرعاية. وقد ارتبطت (السيدتان) في هذا المشهد بعلامات للحياة (عنخ) صغيرات تنتقل بأنفاس الحياة من الإلهة إلى الملكة. و نقشت خلفية المسلة بكتابة نسخية مروية تمتد حتى الجوانب مكونة من خمسة عشر سطراً (كروبر: 2016 : 30).

شكل رقم (11): الإلهة أميسيمي تقابل الملكة أماني شخيتو الواقفة يمينها (كروبر: 2016: 30).

كـما أن مسـلة أخـرى وجـدت في محـراب معبـد آمـون بالنقعـة (شـكل رقـم 12) تظهـر الإلهـة

أميسيمي على اليسار وتقف إلى يمينها الملكة أماني شخيتو و تقفان قبالة الإله الأسد أبادماك وهو جالس وأمامهم عدد من الأعداء راكعون.أحدهما على اليسار تظهر ملامحه العسكرية الرومانية ويظهر عليه نص مكتوب يصفه ب «الرجل الأبيض « أو» الخواجة ! «. ويحمل النص المكتوب على ظهر هذه المسلة أسماء لأماكن جغرافية توضح امتداد المملكة المروية من (النوبة السفلى) وحتى النقعة (كروبر: 2016 :30).

شكل رقم (12): الالهة أميسيمي على اليسار وتقف الى يمينها الملكة أماني شخيتو تقفان قبالة الاله الأسد أبادماك جالساً وأمامهم عدد من الأعداء راكعون (كروبر: 2016: 30).

وفي شرق موقع النقعة يبرز جبل النقعة مرتفعاً بحوالي ستين متراً عن المنطقة حوله. وفي سفح هذا الجبل معبد صغير لم يتم تنقيبه حتى الآن، غير أنه يبدو أقدم معابد النقعة وبنته الملكة المروية شنكدختيتو في بداية حكمها حوالي عام 130 قبل الميلاد (كروبر: 2016 :39).

في محراب هذا المعبد هناك العديد من قطع الحجارة الرملية المتناثرة من مذبح كان ينتصب يوماً, فيه منقوش بعضها بأسماء ملوكية خُطت داخل خراطيش ملوكية من بينها الملكة الكوشية المعروفة أماني توري مما يوحي بكونها كانت مسئولة رئيسية عن رعاية المعبد, أو ربما أضافت إليه أجزاء معمارية خلال فترة حكمها في القرن الأول الميلادي.

و كل تلك الملاحظات السابقة نضيف إليها أن المجلس الملكي, هو أعلى سلطة في قبيلة الموچاچي, وهو المتحكم في القبيلة وفي اختيار الملكة, يتحكم حتى في تحديد عمرها بحيث لا يتجاوز عمرها 60 عاما, بعده تموت موتا غير طبيعي, تمردت عليه الملكتان موچاچي الثالثة و موچاچي الرابعة (لويس:2008أ, 7). وهو الأمر المشابه للثورة الدينية المشهورة التي قام بها الملك المروي أركماني في مواجهة كبار كهنة آمون الذين كانوا يسيطرون باسم السلطة الدينية الكوشية المروية, ويتحكمون في المؤسسة السياسية بالتحكم في السيطرة على الملوك, بل وبذات الطريقة يحددون عمر الملك وعمره في السلطة والحكم, فقام الملك أركماني بالقضاء على كبار كهنة آمون وتحولت بالتالي الديانة الكوشية من الإعتقاد الراسخ في الإله آمون وتحولت الى المعبود الأول عندهم وهو الإله الأسد المعروف بأباداماك, وبنوا له المعابد المعروفة بمعابد الأسد, فتقهقرت بالتالي مرتبة الإله آمون وتقدمتها مرتبة الإله الأسد ,يليه عدد من الآلهه المروية المحلية. وهو الأمر الذي يظهر بوضوح في معبد الإله الأسد أباداماك في المصورات الصفراء أشهر المدن الدينية المروية.

الخلاصة:

إن من المأمول أن تساهم هذه الدراسة في علم المعتقد الأفريقي ومبادئ القيادة النسائية, في البحث عن أصول تلك القيادة النسوية في مجتمعاتها الإفريقية الأصلية الأولي, وتتبع أبعادها الدينية و الاجتماعية والاقتصادية في العديد من تلك المجتمعات في أفريقيا. فالمعروف أن المعتقدات الإفريقية القديمة تقوم على القوة والحيوية والحركة. وأعظم هذه القوى جميعا هي قوى الخالق الذى يمنح الناس الخير والرزق والمطر والحياة, ومن ثم يعتبر الأفارقة بأن الأعظم والرب هو الخير والأرواح الشريرة هى الشيطان ، ولا يذكرون اسمه بل يتجنبون ذلك خوفا من استحضار قواه الخفية الغامضة, ويطلقون بدلا منه مصطلح الأرواح الشريرة التي تتسبب في الحقد والحسد والجفاف أيضا.المعتقد الإفريقي السوداني القديم اتخذ ما يعرف ب (عين الإله حورس) في سبيل اتقاء تلك الشرور,كما وجدت في مصادر المياه في العديد من المدن المروية وأشهرها الحفائر المروية العديد من تماثيل الضفادع والأسود بغرض حمايتها من الأرواح الشريرة. ومن شأن هذه الدراسة كذلك, و خاصة بتشابك العلوم الإنسانية المتداخلة مثل علوم الآثار والانثروبولوجيا وعلوم اللاهوت والأديان المقارنة, أن تشرح المساهمة الكبيرة التي يقدمها الأفريقيون و الإفريقيات في الحضارة

الإنسانية في أفريقيا والعالم، و من أجل تحقيق تقارب عام فيما بين الإفريقيين و الإفريقيات في قارتهم و بين العالم. ومن المأمول في مثل هذه الدراسة الحالية أن تحفز الباحثين المهتمين بتسجيل وتوثيق التاريخ الإفريقي والتقاليد الأسرية لسلالة أسرة قبيلة الموچاچي في جنوب إفريقيا في العصور ما بعد الوسيطة فيها, و أسر الكنداكات الكوشيات في السودان القديم , وصولا لفهم أفضل و ربما جديد حول تلك المتشابهات الثقافية في البلدين كليهما ضمن إطار البحث الإفريقي الواسع.

Bibliography:

(1) Baring, A. & Cashford, J. (eds.), The Myth of the Goddess: Evolution of an Image, Penguin Book: London, 1993.

(2) Ditrich Wildung & Karla Kroeper, A short guide to the ancient site of Naga (Sudan), Munich, 2016.

(3) Kabelo O. Motasa, Patriarchal Usurpation of the Modjadji Dynasty: A Gender-critical Reading of the History and Reign of the Modjadji Rain Queens,

(4) Johannesburg, 2021.

(5) Krige, E.J. & Krige, J.D., The Realm of a Rain-queen: A Study of the Pattern of Lovedu Society. Published by O.U.P. for I.I.A.L.C, 1943.

(6) Lewis, D., Discursive Challenges for African Feminism, 2008, [Available online at https://www.researchgate.net/publication/237455457].

(7) Mathole Kherofo Motshekga, The Mudjadji Dynasty, The principles of female leadership in African cosmology, Johannesburg, 2010.

موقف الدولة المملوكية من الكوارث الطبيعية وأثرها على الآثار التاريخية(648 – 923هـ/1250 – 1517م)

حميدان محمود حميدان ناجي
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية - جامعة منوبة - تونس

المستخلص:

اهتمت الدولة المملوكية في إعمار ما دمرته الكوارث الطبيعية من الآثار التاريخية التي أصابتها ، حيث اهتم السلاطين المماليك ونواب السلطنة في تشييد وإعمار المنشآت العمرانية التي كانت تتعرض للتدمير والتخريب جراء الكوارث الطبيعية من الأمطار والصواعق والزلازل والتي تعتبر الأكثر تأثيراً في الآثار والمباني التاريخية ، لجأت الدولة المملوكية لمعالجة آثار الكوارث الطبيعية من خلال إلزام الأمراء بإعادة إعمار العديد من الجوامع من أموالهم الخاصة ، أما الجهات التي تتبع السلطان مباشرة قد تم الإنفاق عليها وعمارتها من ماله الخاص فيما عرف بالخاص السلطاني ، أما المنشآت التي تتمتع بالأوقاف فقد تم الاتفاق على ترميمها وإعادة بناءها من ريع هذه الأوقاف . تعتبر الزلازل أكثر الكوارث الطبيعية تأثيراً في المباني التاريخية حيث أثرت في العديد من الجوامع منها الجامع الأزهر ومسجد الحاكم بأمر الله الفاطمي وجامع الفاكهيين في القاهرة والجامع الأموي في دمشق ، أما القلاع فأصابت الزلازل قلعة صفد وقلعة حماة وقلعة الكرك ، بينما تأثرت المدرسة المنصورية في القاهرة بالزلازل ، أما الكوارث المناخية فقد تعاملت الدولة المملوكية بتكليف نوابها في المناطق بكتابة تقارير عن حجم الأضرار التي خلفتها هذه الكوارث لتقدير حاجتها للإعمار ومن ثم تقوم بإعادة إعمار المناطق المتضررة ، لم تقتصر الكوارث الطبيعية وحدها على إلحاق الضرر بالآثار التاريخية حيث ساهمت الكوارث البشرية بإلحاق الضرر بالمباني التاريخية ومن ذلك الحرائق التي أصابت الجامع الأموي والتي كان لها الأثر في عمارته في العهد المملوكي .

الكلمات المفتاحية : الكوارث ، الآثار ، إصلاح ، تقارير ، صُناع .

The Mamluk State's Position on Natural Disasters and Their Impact on Historical Monuments (648-923AH – 1250-1517 HD)

Hamidan Mahmoud Hamidan Naji

Abstract

The Mamluk state was interested in rebuilding the historical monuments that were destroyed by natural disasters, as the Mamluk sultans and deputies of the sultanate were interested in constructing and rebuilding urban facilities that were exposed to destruction and sabotage due to natural disasters such as rain, lightning and earthquakes, which

are considered to have the greatest impact on historical monuments and buildings.The Mamluk state resorted to treating the effects of natural disasters by obligating the princes to rebuild many mosques from their own money, while the entities that directly follow the sultan were financed and built from his own money in what was known as the sultanic private fund. As for the facilities that enjoy endowments, it was agreed to restore and rebuild them from the proceeds of these endowments.Earthquakes are considered the most influential natural disasters on historical buildings, as they affected many mosques, including Al-Azhar Mosque, Al-Hakim Mosque, Al-Fakihi Mosque in Cairo, and the Umayyad Mosque in Damascus. As for castles, earthquakes hit Safed Castle, Hama Castle, and Karak Castle, while Al-Mansouriya School in Cairo was affected by earthquakes. As for climate disasters, the Mamluk state dealt with it by assigning its representatives in the regions to write reports on the extent of the damage caused by these disasters to estimate their need for reconstruction, and then rebuild the affected areas. Natural disasters were not limited to damaging historical monuments, as human disasters also contributed to damaging historical buildings, including the fires that hit the Umayyad Mosque, which had an impact on its architecture during the Mamluk era. Keywords: disasters, monuments, repair, reports, makers.

Keywords: disasters, impacts, repair, reports, makers .

منهج البحث :

اتبع هذا البحث المنهج التاريخي الوصفي والتحليلي القائم على جمع المادة التاريخية من مصادرها الأصلية وتوظيفها في صياغة مواضيع الدراسة المتنوعة بغية الوصول إلى المعلومات التاريخية وتم الاستناد بدرجة كبيرة إلى ما تضمنته المصادر التاريخية .

مشكلة البحث :

1. تميز العهد المملوكي بالاضطرابات السياسية والاقتصادية وبالتالي ضعف السلطة الحاكمة في ترميم الآثار التاريخية في بلاد الشام ومصر
2. عدم معاصرة بعض المؤرخين للكوارث الطبيعية، وبالتالي ربما يتناول أخذ المعلومات من المصادر التي قبله القريبة من الأحداث.
3. عدم شمول المعلومات الواردة في المصادر التاريخية حول إعمار وترميم الآثار التاريخية بشكل كامل نتيجة الكوارث الطبيعية.
4. عدم معرفة دور السكان تجاه الكوارث الطبيعية لإعمار الآثار التاريخية.

فرضية البحث :

أثرت الكوارث الطبيعية بشكل كبير على حياة السكان وخاصة الزلازل والفناء العظيم.

أهداف البحث:

التعرف على أهم الآثار التاريخية التي تعرضت للكوارث الطبيعية.

معرفة دور السلطة المملوكية في إعادة الآثار التاريخية.

الفصل الأول:

أولاً : التمهيد:

يُقصد بالمماليك الرقيق الأبيض الذين جُلِبُوا من شبه جزيرة القرم وبلاد القوقاز أو القفجاق وبلاد فارس ، فكانوا خليطاً من الأتراك والشراكسة والروم والروس وهؤلاء جميعاً أحضروا إلى مصر والشام صغاراً عن طريق تجار الرقيق الذين كانوا يحصلون عليهم عن طريق الأسر في الحروب أو المهاداة أو البيع([1]) .

امتد عصر المماليك بين عامي (648 – 923هـ/1250 – 1517م) منذ سقوط الأيوبيين إلى مجيء العثمانيين ، ومنذ تأسيس دولة المماليك وحتى مقدم العثمانيين عام (923هـ/ 1517م) حكم المماليك أكثر من (275) عاماً انقسموا خلالها إلى دولتين هما الدولة البحرية ومؤسسها عز الدين أيبك وحكمت نحو (135) عاماً بين عامي (-648 784هـ/ 1250 – 1382م)([2]) ، وكلمة البحرية أطلقت على طائفة من المماليك قبل تأسيس دولتهم وهذه الطائفة هي التي أسكنها سيدها الصالح نجم الدين الأيوبي بقلعة الروضة في نهر النيل فَعُرِفوا بالبحرية وصاحبهم هذا الاسم([3]) ، وقد انضمت بلاد الشام إلى دولة المماليك عندما انتصر قطز في عين جالوت على التتار عام (658هـ/ 1260م) فدمشق وحلب صارتا نيابة وصفد صارت نيابة ، أما طرابلس التي كانت بيد الصليبيين فإن السلطان قلاوون انتزعها منهم في عام (688هـ/ 1289م) وصارت نيابة([4]) ويُعد الظاهر بيرس من أعظم سلاطين المماليك مؤسس هذه الدولة ومبتدع طريقة حكمها حيث وجد مجموعة من النظم والقواعد التي قوّت أسس دولة المماليك([5]).

أما الدولة الثانية هي دولة المماليك الجركسية وأصل معظم ملوكها من بلاد الجركس لذلك سُموا بهذا الاسم كذلك عرفوا باسم آخر هو البرجية لأن المنصور قلاوون عندما أكثر من شرائهم حتى بلغ عددهم نحو ثلاثة الاف وسبعمائة أسكنهم في أبراج قلعة الجبل وقد استمرت هذه الدولة قرابة (139) عاماً ويعد مؤسسها الظاهر برقوق العثماني الجركسي([6]) الذي استطاع أن يصل إلى منصب أتابك العسكر ثم إعلان نفسه سلطاناً بعد أن خلع السلطان أمير حاجي ولقب نفسه بالملك الظاهر وذلك في عام (784هـ/ 1382م) حيث تعاقب على عرش السلطنة خلالها ثلاث وعشرون سلطاناً كان أشهرهم الظاهر برقوق والأشرف قايتباي والأشرف قانصوه الغوري([7]) ، وقد امتاز عهد هؤلاء البرجية بالكثير من الفوضى والسلب والتهاون في ضبط الأمور مما عجّل في خراب المملكة حيث ظهرت جيوش العثمانيين فطردتهم من البلاد بعد معركة مرج دابق (922هـ/ 1516م) شمال مدينة حلب وانتهت دولة المماليك بعد عام (923هـ/ 1517م) وبدأ عهد سلطة الأتراك العثمانيين([8]) .

ثانياً : موقف الدولة المملوكية من الزلازل في بلاد الشام ومصر وأثرها على الآثار التاريخية :

اهتمت الدولة المملوكية في إعمار ما دمرته الكوارث الطبيعية من الآثار التاريخية التي أصابتها ، حيث اهتم السلاطين المماليك ونواب السلطنة في تشييد وإعمار المنشآت العمرانية التي كانت تتعرض للتدمير والتخريب جراء الزلازل ، ومن ذلك ما قام به الملك المغيث عمر من إعمار الأبنية والأبراج التي دُمِرت في مدينة الكرك جراء الزلزلة التي ضربتها سنة (660هـ/ 1261م)[9] وتهدمت الجدران ومنارات الجوامع ووقع جانب عظيم من منارة الإسكندريّة[10] .

يُعد السلطان الظاهر بيبرس من أكثر سلاطين الدولة المملوكية الأولى الذين أبدوا اهتماماً كبيراً في ترميم وتعمير الأبراج والأسوار التي كانت آيلة للسقوط ، ففي سنة (673هـ/ 1274م) توجه من مصر إلى الكرك وقام بهدم برجين من أبراج قلعتها وبنى مكانهما برجين جديدين كخطوة احترازية على إثر سقوط أحد أبراجها في تلك السنة[11] ، وفي سنة (686هـ/ 1287م) قام أحد نواب السلطان المنصور قلاوون بإزالة ما تبقى من برج اللاذقية الذي تهدم بفعل الزلزلة في تلك السنة وأقام مكانه برج آخر ، وعُدّ من أصعب المنشآت العمرانية تشيداً لوقوعه في وسط البحر[12] .

في عام (692هـ/ 1293م) حدثت زلزلة في بلاد الشام وتركزت في غزة والرملة وقاقون واللد والكرك ، وكان أشدها تأثيراً الزلزلة التي حدثت في الكرك[13] ، وتمثل موقف الدولة في تكليف والي الرملة غرس الدين بن شاور بعمل تقارير حول حجم الضرر الذي وقع جراء هذه الزلازل ، وانتدب الأمير علاء الدين أيدغي الشجاعي من دمشق وصحبته الصناع لعمارة ما انهدم بالكرك[14] ، وقد وصل الخبر إلى دمشق ومرسوم الأشرف خليل مع البريد بتجريد الأمير علاء الدين أيدغي الشجاعي أحد أمراء الشام وفي صحبته جماعة من الصناع والمهندسين والحجارين والآلات الكثيرة لعمارة ما انهدم من قلعة الكرك[15] وقد تمّ استدعاء الصناع من غزة للعمل على ترميم الدور والأبراج التي هُدِمت بالكرك[16] .

ثالثاً : الزلزلة العظمى سنة (702هـ/ 1303م) :

حدثت زلازل سنة (702هـ/ 1303م) حيث وصفه المؤرخون « الزلزلة العظمى »[17] ، حيث أثر هذا الزلزال في مدينة صفد[18] أثراً عظيمًا وسقط جانب كبير من قلعتها[19] ، على الرغم من حصانة هذه القلعة إلا أن أثر هذا الزلزال كان قوياً على القلعة بحيث وقع برجين من أبراج القلعة[20] وسقط جانب من القلعة وأسوارها وبرج الباب ، وقد قامت الدولة المملوكية بترميم هذه القلعة في العام التالي (703هـ/ 1303م)[21] ، كذلك هدمت هذه الزلزلة أسوار قلعة حماة وغيرها من الأماكن بالبلاد وخربت من أسوار الإسكندرية ستاً وأربعين بدنة[22] .

لجأت الدولة المملوكية لمعالجة آثار هذا الزلزال فنجد أن الدولة المملوكية قسمت أعمال إعادة إعمار العديد من الجوامع من أموال الأمراء الخاصة فالجهات التي تتبع السلطان مباشرة قد تم الإنفاق عليها من ماله الخاص ، والمنشآت التي تتمتع بالأوقاف فقد تم الاتفاق

على ترميمها وإعادة بناءها من ريع هذه الأوقاف[23] ، وقد بادرت الدولة المملوكية إلى إعادة بنيان وترميم ما خربته هذه الزلازل ففي بلاد الشام أمرت الدولة المملوكية بترميم قلعة صفد وأسوارها[24] والأجزاء المتشعثة من قلعة الكرك ، وإعادة ترميم الجامع الأموي في دمشق التي تأثر بهذه الزلازل[25] ، وأما في مصر فقد بادرت الدولة المملوكية إلى إعادة بنيان وترميم ما خربته هذه الزلازل حيث قررت الدولة على الأمراء أن يساهموا بجزء من أموالهم من أجل إعادة وترميم ما تهدم بسبب هذه الزلازل فقررت على الأمراء مقدمي الألوف وأصحاب الطبلخانات وأرباب العشرات مالاً برسم عمارتها وتحصيل آلتها ، حيث قررت الدولة أموالاً على كل أمير من الأمراء مقدمي الألوف مقدار خمسة الاف درهم ، وعلى كل أمير من أمراء الأربعين (الطبلخاناة) ألفي درهم وعلى كل أمير من العشرات خمسمائة درهم للمساهمة في أعمال الترميممراء أمراء الاالأ[26] .

هدمت هذه الزلازل كثيراً من منائر الجوامع والمساجد بمصر والقاهرة وعُمرت بعد ذلك كأحسن ما كانت[27] ، ومن أهم هذه المساجد التي تضررت مسجد الحاكم بأمر الله الفاطمي[28] حيث سقط كثير من البدنات[29] وتشعثت سقوفه وجدرانه وتهدم جزء كبير منه وخاصة مأذنته[30] ، فقد كلف الناصر محمد وانتدب الأمير ركن الدين بيبرس الجاشنكير بإعادة عمارته من ماله الخاص ، فنزل إليه ومعه القضاة والأمراء والمهندسين والمباشرون وقال لهم : « اجعلوا بالكم في هدم ما يستحق الهدم «[31] فقام بتجديد بنائه وإعادة إعماره وزاد فيه زيادة واسعة للمصلين وأمر بترميم ما تهدم منه وإعادة ما سقط من البدنات فاعيدت وفي كل بدنة منها طاق وأقام سقوف الجامع وبيضه حتى عاد جديداً[32] . وقد جعل فيه خزانة كتب جليلة وحفر فيه صهريجاً بصحن الجامع ليملأ فيه كل سنة من ماء النيل ويسبل فيه الماء في كل يوم ويسقي الناس يوم الجمعة حتى بلغ ما أنفقه على جامع الحاكم أكثر من أربعين ألف دينار[33] ، ويفهم من النقوش الأثرية التي تعلو المدخل الرئيسي للجامع الفراغ من أعمال التعمير تم في شهر ذو الحجة عام 703هـ/ يوليو 1304م[34] ، كما أوقف عليه عدة أوقاف بناحية الجيزة والصعيد والإسكندرية ، كما رتب فيه دروساً للمذاهب الأربعة الشافعي والمالكي والحنفي والحنبلي ودرس الحديث ودرس للنحو ووضع فيه قرّاء ورتب لهم الرواتب[35] ، وأصرف عليه من ماله شيء كثير وعاد كأحسن ما كان وأجد ، ومن المساجد التي تضررت مسجد عمرو بن العاص « العمري – جامع مصر « حيث تهدم جزء كبير منه وانتدب الأمير سيف الدين سلار نائب السلطنة لعمارته وإعادة ترميمه[36] تعميراً شاملًا حيث هدم جزءاً من الجدار البحري وأعاد السور إلى ما كان عليه وبيض الجامع كله وزاد في سقف الزيادة الغربية رواقين وبلط أرض الجزء الذي سقفه[37] ، وقد ذكر العيني بأن جامع عمرو بن العاص « انصرف عليه مالاً جزيلاً «[38] .

أما الجامع الأزهر[39] فقد تهدم جزء كبير منه إذ وقعت وجهته وسقط سقفه وتشققت مأذنته وانتدب لعمارته أيضاً الأمير سيف الدين سلار وشاركه في ذلك الأمير شمس الدين سنقر الأعسر[40] ، حيث قام الأمير سلار بإصلاح مأذنته وإصلاح الواجهة التي وقعت وجدّد فيه جميع أماكنه وبلّطه وبيّضه وأنفق عليه نفقات كثيرة[41] ، أما مسجد الصالح بن رزيك « بُنِيَ في العهد

الفاطمي « فقد تهدمت مئذنته وجزء كبير منه وأنتدب لعمارته الأمير علم الدين سنجر[42]، في حين ذكر المقريزي أنّه عُمّر من الخاص السلطاني[43] ، وبالفعل تمّ بناء مأذنة بدلًا من التي سقطت وهي تعلو المدخل الغربي للجامع والتي استمرت بدورها حتى سقطت في العصر الحديث[44] ، والمسجد الظافري عُرف فيما بعد باسم جامع الفاكهانيين[45] وهو إنشاء الخليفة الظافر بأمر الله الفاطمي سقطت مئذنته وتمّ إعادة إعمارها[46] ، حيث تكفلت الدولة المملوكية بتعميره وذلك من الأبواب السلطانية[47] أي من أموال الدولة ، وفي بلاد الشام تأثر بهذا الزلزال أيضاً جامع بني أمية بدمشق حيث تشققت جدر جامع الجامع الأموي[48] وتهدم جانب منه وقد ترميم الجامع الأموي بعد ذلك[49] .

قامت الدولة المملوكية بإعادة ترميم وإعمار المدرسة المنصورية[50] التي تضررت جراء هذا الزلازل وقد كلف السلطان الناصر محمد بن قلاوون الأمير سيف الدين كهرواش الزراق[51] بإعادة بناءها وذلك من مال الوقف[52] ، فقام بذلك حيث تطلب الأمر هدم المأذنة حتى سطح القبة وعُمّرت كأحسن ما يكون وقد صُرِفَ في عمارتها ما يقارب تسعين ألف درهم خارجا عما استعمل من أحجارها المنقوضة منها[53] ، ولم يقتصر تأثير هذا الزلزال على القاهرة والفسطاط فقد أثر تأثيراً كبيراً على مدينة الإسكندرية حيث كان أعظم تأثيرها بثغر الاسكندرية[54] ، وقد تمثلت آثار هذا الزلزال بالإسكندرية حيث هدمت بالثغر أكثر الأبراج والأسوار ورمت جانباً وافراً من المنار[55] وانشق وسقط من أعلاه نحو أربعين شرفة[56] كما أدت إلى تساقط أجزاء كبيرة من السور الشمالي لمدينة الإسكندرية وهدمت أربعين بدنة من أسواره وكثير من أبراجه[57] وقامت الدولة بإعادة إعمار وترميم ما تهدم من أبراج وأسوار ومباني في مدينة الإسكندرية وخاصة برج إرشاد السفن المنار[58] .

انتدب السلطان لهذه المهمة ركن الدين بيبرس المنصوري الدوادار[59] ليقوم بتعمير ما أفسده الزلزال[60] بعدما كتب والي الإسكندرية إلى السلطان محمد بن قلاوون تقريراً بالأضرار التي أصابت الإسكندرية من هدم أجزاء من سور المدينة وهدم أجزاء من المنار[61] حيث برزت المراسيم السلطانية بتوجيه ركن الدين بيبرس المنصوري الدوادار إلى ثغر الإسكندرية لمباشرة أسواره وخنادقه وعمارة ما تساقط من مبانيه ومرافقه[62] ورسم السلطان أن يُعمّر جميع ذلك من مال السلطان[63] وكان جملة ما تم تعميره من سور الإسكندرية ست وأربعون بدنة وسبعة عشر برجاً[64] حيث أصبح سور الإسكندرية سوراً مزدوجاً يتألف السور الرئيسي ببدناته وأبراجه والسور الأمامي وقد فتحت في هذا السور أبواب جديدة[65] . وكان الإنفاق على عمليات الترميم لسور الإسكندرية من مال السلطان[66] أي من الخاص السلطاني[67] ويرجع السبب في ذلك أن ثغر الإسكندرية كان ضمن إقطاع السلطان المملوكي بما يعرف بالخاص السلطاني ، وذلك وفقاً للروك الحسامي[68] . وبالنسبة لمنار الإسكندرية فقد حاول الناصر محمد بن قلاوون ترميمه ، ويبدوا أن التدمير الذي أصاب المنار كان بالغ الشدة بحيث لم تفده أعمال الترميم التي أجريت له[69] ، بل تعرضت الأجزاء الباقية من المنار للهدم فيما بعد ففي عام (724هـ/1324م) سقط من منارة

الإسكندرية أكثرها وكان سقوط ذلك شيئاً فشيئا[70] ، وقد أخذ المنار في التناقص حتى لم يبق من موضع أساسه في سنة (776هـ/ 1374م) إلا البقعة كان يوجد بها لا غيرها ، لذا فقد حاول الناصر محمد بناء منار جديد بإزاء المنار القديم ولكنه تم في عهد من أتي بعده من السلاطين[71] .

حدثت زلازل في بلاد الشام سنة (744هـ/ 1343م)[72] وبادرت الدولة إلى إعادة بنيان وترميم ما خربته هذه الزلازل فقد انتدبت الدولة مجموعة من الأمراء لعمارة ما تهدم من القلاع والإنفاق عليها من الأملاك الديوانية[73] ، وفي سنة (862هـ / 1458م) حدثت زلزلة قوية ببيت المقدس أصابت البيمارستان الصلاحي فجعلته أثراً بعد عين فعفيت آثاره واختلست أرضه[74] ، ويبدوا أن موقف الدولة لم يقتصر وحده على مكافحة الكوارث الطبيعية في الإعمار فقد أبدى السكان في المدن والقرى الشامية اهتماماً كبيراً إلى جانب الدولة في إعمار ما خلفته الكوارث الطبيعية ففي سنة (863هـ/ 1458م) عندما هزت الزلزلة مدينة القدس وهدمت منارة أحد مساجدها سارع أهل المدينة لإحضار ما لديهم من الأموال ومواد البناء للعمل على إعادة بناء المنارة ، وبقوا يعملون ليلاً ونهاراً بكل ما لديهم من طاقات حتى أعادوا بناءها في خلال أيام بأفضل ما كانت عليه في السابق[75] .

ورد الخبر عندما حدثت زلازل في حلب سنة (889هـ/ 1484م) بأنه كان بعين تاب[76] زلزلة سقط منها جانب من السور ومنارة جامعها وطلب من السلطان عمارة ذلك فقال : « حتى تنتهي عمارة سور البيرة «[77] ، ولم تسلم الكنائس من خطر الكوارث الطبيعية ففي زلزلة سنة (865هـ / 1460م) حيث تهدمت قبة كنيسة مجاورة لكنيسة القيامة في القدس ، كان يجتمع فيها النصارى لقراءة كتاباتهم[78] ، كذلك ضربت بيت المقدس زلزلة سنة (902هـ/ 1496م) تضررت خلالها مدارس عدة في القدس وغزة ففي بيت المقدس تضررت مدرسة السلطان قايتباي[79] .

الفصل الثاني : موقف الدولة المملوكية من الكوارث المناخية وأثرها على الآثار التاريخية:

أولاً : الكوارث المناخية:

تعاملت الدولة المملوكية مع الكوارث المناخية بتكليف نوابها في المناطق بكتابة تقارير عن حجم الأضرار التي خلفتها هذه الكوارث لتقدير حاجتها للإعمار ومن ثم تقوم بإعادة إعمار المناطق المتضررة ، ومن ذلك في سنة (683هـ/ 1284م) بادرت الدولة في حملة تنظيف واسعة في مدينة دمشق جراء السيل الذي أصابها حيث أمر السلطان المنصور قلاوون ولاته بترميم باب الجابية[80] ، وجسر باب الفراديس[81] ، والحوانيت المتواجدة عليه في مدينة دمشق جراء السيل الجارف سنة (685هـ/ 1286م) لا سيما في الصالحية[82] ، وعندما تعرضت مدينة حمص لإعصار سنة (685هـ/ 1286م) قام الأمير بدر الدين بكتوت بكتابة تقارير حول الأضرار التي أحدثها هذ الإعصار إلى نائب السلطنة في دمشق حسام الدين لاجين[83] ، ولّما حدثت زلازل وسيول سنة (692هـ/ 1293م) في مدينة الرملة قامت الدولة المملوكية بتكليف والي الرملة غرس الدين بن شاور بعمل تقارير حول حجم الضرر الذي وقع جراء الزلازل في مدينة الرملة[84] ، ولّما حدث

سيل سنة (717هـ/ 1317م) في مدينة بعلبك أرسلت الدولة المملوكية جمال الدين بن الشريشي وكيل بيت المال إلى بعلبك لكي يقوم بكتابة تقارير عن حجم الأضرار التي خلفها هذا السيل(85) . ولمّا حدث سيل مدينة عجلون سنة (728هـ/ 1328م) قام الأمير علم الدين الطرقشي والي الولاة بالصفقة القبلية بكتابة تقرير إلى نائب السلطنة بدمشق الأمير تنكز الحسامي حول حجم الأضرار التي خلفها هذا السيل(86) ، وبعدها قام الأمير تنكز بانتداب من يقوم بترميم ما تهدم من مدينة عجلون فأعيد بناء الأسواق والقياسر والطواحين والحمامات(87) ، وفي سنة (851هـ/ 1447م) بعث السلطان جقمق الصناع لإعمار ما احترق من قبة الصخرة جراء الصاعقة التي وقعت عليها(88) حيث أحرقت الجانب الغربي من سقف الصخرة المشرفة وتضررت الملامح الجمالية والفنية فيها(89)، ولم يقتصر دور الإعمار على الدولة المملوكية وحدها فقد سارع أهالي المدينة لإحضار المياه واستطاعوا خلال فترة وجيزة من إطفاء الحريق وإنقاذ الكثير من محتوياتها إلا أن السقف عمر بعد ذلك(90) ، وفي سنة (863هـ/ 1458م) بادر السلطان الأشرف إينال العلائي(91) ببناء ما تهدم من أسوار الكرك وأبراجها بسبب الزلزلة(92) وفي سنة (866هـ/ 1462م) نزلت صاعقة على منارة جامع أمير حسين فهدمت أكثرها وتعلّقت النار بها فهُدِم باقيها وأعيد إعمارها(93)، وعندما هبت عاصفة شديدة على مدينة القاهرة في ربيع الثاني سنة (897هـ/ 1492م) تهدم بسببها أجزاء كبيرة من مسجد الحاكم ومدرسة السلطان حسن فأعيد ترميمها(94) ، وفي نفس السنة (897هـ/ 1492م) هُدِمَ الجانب الغربي من كنيسة القيامة نتيجة الأمطار الغزيرة التي هطلت ببيت المقدس(95) .

ثانياً : الكوارث البشرية « الحرائق »:

لم تقتصر الكوارث الطبيعية وحدها على إلحاق الضرر بالآثار التاريخية حيث ساهمت الكوارث البشرية بإلحاق الضرر بالمباني التاريخية ومن ذلك الحرائق التي أصابت الجامع الأموي والتي كان لها الأثر في عمارته ففي سنة (680هـ/ 1281م) غسل أحد الرجال من سوق الذهبيين ثوبه ووضع تحته جمرة ليجف فتعلقت به فاشتعل ونتج عنه الحريق(96) ، الذي أتى على الأسواق المحيطة بالجامع ومنها سوق اللبادين والكتبيين والزجاجين ، وامتد الحريق إلى حمام الصحن وشمل ما فوق السوق وتحته حتى وصل إلى القياسر وحيطان الجامع الأموي(97) ، واستمر ثلاثة أيام متتالية وأتى على معظم الأموال التي كانت في معظمها وقفاً على الجامع وقد أسهم عدد من أمراء الدولة المملوكية في إطفاء النار بأنفسهم(98) .

حدث الحريق الثاني سنة (740هـ/ 1339م) الذي أطلق عليه المؤرخون الحريق الكبير ووقع في سوق الدهشة وانتقل إلى القيسارية المجاورة له فاحترقت المأذنة الشرقية في الجامع الأموي وسوق اللبادين والمدرسة الأمينية وما حولها(99) ، وتغيرت بسببه معالم وجه الجدار الخاص بمشهد أبي بكر واحترقت أماكن أخرى كانت كلها وقفاً على الجامع(100) ، ووقع هذا الحريق في أواخر سلطنة الأمير تنكز (-712 740هـ/ -1312 1340م) نائب الشام ، وقد كان مفتعلاً تسبب به مجموعة من النصارى الذين وضعوا فيه كعكاً ممزوجاً بالنفط وأدخلوه إلى سوق الدهشة(101)

وبعض دكاكينه وأشعلوا فيها النار ليلاً[102] .

أصاب الحريق الثالث الجامع الأموي سنة (753هـ/ 1352م) عند باب جيرون ووصف بأنه عظيم وكبير وقد أثر بباب الجامع الأصفر أو باب النحاس ، فنُقِل مباشرة إلى مستودع الجامع أو ما عُرف بخزانة الحاصل في مشهد علي المعروف بمشهد الحسين أيضاً وكان هذا الباب مصنوعاً من خشب الصنوبر في الأصل ووضع عليه النحاس ، وذُكِر أن عمر الباب أكثر من خمسة آلاف سنة عندما حُرِق[103] .

أما الزلازل فكان منها واحد أثر في الجامع الأموي وحدث في سنة (702هـ/ 1302م) إذ زلزلت دمشق يومئذ وهدم بعض أجزاء من الجامع الأموي[104] .

النتائج:

1. اهتم السلاطين المماليك ونواب السلطنة في تشييد وإعمار المنشآت العمرانية التي كانت تتعرض للتدمير والتخريب جراء الكوارث المناخية والزلازل .
2. تعتبر الزلازل أكثر الكوارث الطبيعية تأثيراً في المباني التاريخية حيث أثرت في العديد من الجوامع والقلاع والمدارس .
3. يُعد السلطان الظاهر بيبرس من أكثر سلاطين الدولة المملوكية الأولى الذين أبدوا اهتماماً كبيراً في ترميم وتعمير الأبراج والأسوار التي آيلة للسقوط نتيجة الزلازل والكوارث المناخية.
4. يعد زلزال عام (702هـ/ 1303م) أكثر الزلازل التي ألحقت أضراراً بالآثار التاريخية من جوامع وقلاع ومدارس .
5. تعاملت الدولة المملوكية مع الكوارث المناخية بتكليف نوابها في المناطق بكتابة تقارير عن حجم الأضرار التي خلفتها هذه الكوارث لتقدير حاجتها للإعمار ومن ثم تقوم بإعادة إعمار المناطق المتضررة .
6. ساهمت الكوارث المناخية من سيول وأمطار بإلحاق الخسائر الاقتصادية بالأسواق والقياسر والطواحين والحمامات بعدما تسببت بإلحاق الأضرار بها ومن ثم أعيد بناءها فيما بعد .
7. ساهمت الكوارث الطبيعية في تغيير شكل كثير من المعالم والآثار التاريخية من الجوامع والقلاع والمدارس .
8. لم تقتصر الكوارث الطبيعية وحدها على إلحاق الضرر بالآثار التاريخية حيث ساهمت الكوارث البشرية بإلحاق الضرر بالمباني التاريخية ومن الأمثلة على ذلك الحرائق .
9. موقف الدولة المملوكية لم يقتصر وحده على مكافحة الكوارث الطبيعية في إعمار الأثار التاريخية فقد أبدى السكان في المدن والقرى اهتماماً كبيراً إلى جانب الدولة في إعمار ما خلفته الكوارث المناخية والزلازل .
10. تعتبر الآثار التاريخية في مدن القاهرة ودمشق الأكثر تضرراً نتيجة الكوارث المناخية والزلازل

الهوامش:

(1) حسن ، علي إبراهيم ، تاريخ المماليك البحرية « في عصر الناصر محمد بوجه خاص « ، (د . ط) ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، 1979م ، ص 22.

(2) القلقشندي ، صبح ، ج 4 ، ص 456 .

(3) النهار ، عمار محمد ، تاريخ المماليك ، ط 1 ، منشورات جامعة دمشق « كلية الآداب والعلوم الإنسانية « ، سوريا ، 1435هـ/ 2014 م ، ص 27.

(4) السيد ، محمود ، تاريخ عرب الشام في العصر المملوكي ، (د . ط) ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، 1997م ، ص 41.

(5) حسن ، تاريخ ، ص 38 .

(6) المقريزي ، السلوك ، ج 1 ، ق 1 ، ص 339 – 340 .

(7) عاشور ، مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك ، (د . ط) ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، 1972م ، ص 227.

(8) سوفاجيه ، جان ، دمشق الشام – لمحة تاريخية منذ العصور القديمة حتى عهد الانتداب - ، ترجمة : فؤاد أحمد البستاني ، دمشق ، 1989م ، ص 88.

(9) القلقشندي ، أحمد بن علي بن أحمد الفزاري ، (ت 821هـ/ 1418م) ، مآثر الإنافة في معالم الخلافة ، 13ج ، تحقيق : عبد الستار أحمد فراج ، ط 2 ، مطبعة حكومة الكويت ، الكويت ، 1985م ، ج 2 ، ص 114 . غوانمة ، يوسف ، التاريخ الحضاري لشرقي الأردن في العصر المملوكي ، ط 2 ، دار الفكر ، عمان ، 1982م ، ص 267.

(10) القلقشندي ، مآثر ، ج 2 ، ص 115 .

(11) ابن تغري ، المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي ، 7 ج ، حققه ووضع حواشيه : دكتور محمد محمد أمين ، تقديم : دكتور سعيد عبد الفتاح عاشور ، (د . ط) ، الناشر : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر ، (د . ت) ، ج 3 ، ص 459.

(12) ابن عبد الظاهر ، محيي الدين ، تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور « وتتناول الحقبة ما بين (678 – 689هـ/ -1279 1290م) ، تحقيق : مراد كامل ، مراجعة : محمد علي النجار ، (د . ط) ، الشركة العربية للطباعة والنشر ، الجمهورية العربية المتحدة ، 1961 م ، ص 151 – 153 . ابن المغيزل ، نور الدين علي بن عبد الرحيم المظفري ، ذيل مفرج الكروب في أخبار بني أيوب ، تحقيق : عمر عبد السلام تدمري ، ط 1 ، المكتبة العصرية ، صيدا – لبنان، (1425هـ/ 2004م) ، ص 118.

(13) ابن الجزري ، محمد بن إبراهيم ، (ت 738هـ/ 1338م) ، تاريخ حوادث الزمان ووفيات الأكابر والأعيان من أبنائه « المعروف بتاريخ ابن الجزري ، (د . ط) ، المكتبة العصرية ، صيدا، (د . ت) ، ج 1 ، ص 155 . ابن الفرات ، ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم ، (ت 807هـ/ 1405م) ، تاريخ الدول والملوك « نشر باسم تاريخ ابن الفرات « ، 9 ج ، حقق المجلدين

الرابع والخامس منه حسن محمد الشماع ، بغداد ، « 1390هـ/ 1970م « ، المجلدات 7 – 9 تحقيق قسطنطين زريق ، (د . ط) ، المطبعة الأميركية ، بيروت ، « 1936 – 1942م ، ج 8 ، ص 154 . السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر ، كشف الصلصلة عن وصف الزلزلة ، نسخة المكتبة الأزهرية ، رقم (2491 عام) (130 خاص) ، ص 46.

(14) ابن الفرات ، تاريخ ، ج 8 ، ص 154 . النويري ، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب ، (ت 733هـ/ 1332م) ، نهاية الأرب في فنون الأدب ، 33 ج ، تحقيق : نجيب مصطفى فواز وحكمت كشلي فواز ، ط 1 ، منشورات : محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، بيروت ، 1424هـ / 2004 م ، ج 31 ، ص 155.

(15) ابن الجزري ، تاريخ ، ج 1 ، ص 155 .

(16) النويري ، نهاية ، ج 31 ، ص 155 . ابن الفرات ، تاريخ ، ج 8 ، ص 154 .

(17) الذهبي ، أبي عبد الله شمس الدين محمد ابن أحمد بن عثمان ، (ت 748هـ/ 1347م) ، دول الإسلام ، جزأين ، تحقيق : حسن إسماعيل مروة ، ط 1 ، دار صادر للطباعة والنشر ، بيروت، 1999م ، ج 2 ، ص 210. ابن كثير ، البداية ،

(18) صفد : هي القاعدة الخامسة من قواعد البلاد الشامية وقد استعادها السلطان المملوكي الظاهر بيبرس عام (664هـ/ 1266م) . العيني ، بدر الدين محمود ، (ت 855هـ/ 1451م)، عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان ، 3 ج ، تحقيق : محمد محمد أمين ، (د . ط) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، (1412هـ/ 1992م) ، ج 1 ، ص 421.

(19) النويري ، نهاية ، ج 32 ، ص 39 . المقريزي ، تقي الدين أحمد ابن علي ، (ت 845هـ / 1441م)، السلوك لمعرفة دول الملوك ، 6 ج ، تحقيق : محمد مصطفى زيادة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، 1956 م ، تحقيق : سعيد عبد الفتاح عاشور ، مطبعة دار الكتب ، القاهرة ، 1970 م ، ج 1 ، ق 3 ، ص 944 .

قلعة صفد : تشرف هذه القلعة على إقليم الجليل وتعتبر من أقوى القلاع الفرنجية الصليبية وأحصنها وقد بناها الصليبيون عام (495هـ/ 1101م) ، تعتبر بأنها قلعة حصينة ذات بساتين تشرف على بحيرة طبرية يحف بها جبال وأودية . القلقشندي ، أحمد بن علي بن أحمد الفزاري القاهري ، (ت 821هـ / 1418م) ، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء ، 15 ج ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، (د . ت) . ، ج 4 ، ص 150.

(20) ابن سباط ، صدق الأخبار أو تاريخ ابن سباط ، تحقيق : عمر عبد السلام تدمري ، (د . ط)، لبنان ، 1993م ، ج 2 ، ص 582.

(21) العيني ، عقد ، ج 4 ، ص 262 .

(22) أبو الفداء ، المختصر ، ج 4 ، ص 50 .

(23) عبد العال ، سيد محمود ، زلزال عام 702هـ/ وأثره في مصر المملوكية ، مجلة وقائع تاريخية ، عدد 13 ، (ص -123 170) ، الناشر : جامعة القاهرة ، 2010م ، ص 135.

(24) بيبرس المنصوري ، ركن الدين بن عبد الله ، (ت 725هـ/ 1324م) ، التحفة الملوكية في الدولة التركية ، تحقيق : عبد الحميد صالح حمدان ، ط 1 ، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ، 1407هـ/ 1987م ، ص 173 . النويري ، نهاية ، ج 32 ، ص 39.

(25) العيني ، عقد ، ج 4 ، ص 262 . مؤلف مجهول ، (ت 742هـ/ 1341م) ، تاريخ سلاطين المماليك، تحقيق : زيتر ستين ، (د . ط) ، ليدن ، 1919م ، ص 128 . غوانمة ، التاريخ ، ص 271.

(26) المنصوري ، بيبرس ، مختار الأخبار ، تحقيق : عبد الحميد صالح حمدان ، ط 1 ، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ، 1413هـ/ 1993م ، ، ص 132.

(27) ابن أيبك الدواداري ، أبو بكر بن عبد الله ، (ت 713هـ/ 1313م) ، كنز الدرر وجامع الغرر، تحقيق : هانسروبرت رويمر ، (د . ط) ، قسم الدراسات الإسلامية بالمعهد الألماني ، القاهرة ، 1371هـ/ 1971م ، ج 9 ، ص 101.

(28) جامع الحاكم : بناه الخليفة الفاطمي العزيز بالله وأكمله من بعده ابنه الحاكم بأمر الله الفاطمي ويقع بالقرب من باب الفتوح وباب النصر ، وفرغ من بناءه عام (396هـ/ 1005م) . القلقشندي ، أحمد بن علي بن أحمد الفزاري القاهري ، (ت 821هـ / 1418م) ، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء ، 15 ج ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، (د . ت) ، ج 3 ، ص 411.

(29) البدنات : جمع بدنة ، والبدنة في العمارة المملوكية هي الدعامة القائمة بذاتها أو حاملة وتكون عادة من الطوب أو الحجر وقد تكون مربعة أو مستطيلة المسقط . دهمان ، محمد أحمد ، معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي ، ط 1 ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، لبنان، دار الفكر ، دمشق ، سوريا ، 1410هـ / 1990 م ، ص 31.

(30) النويري ، نهاية ، ج 32 ،

(31) العيني ، عقد ، ج 4 ، ص 264 .

(32) النويري ، نهاية ، ج 32 ، ص 60 . المقريزي ، تقي الدين أحمد بن علي ، (ت 845هـ / 1441م)، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية ، 4 ج ، ط 1 ، منشورات : محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1418هـ / 1998 م ، ج 4 ، ص 57.

(33) المقريزي ، الخطط ، ج 4 ، ص 57 .

(34) عبد العال ، زلزال ، ص 137.

(35) العيني ، عقد ، ج 4 ، ص 265 . النويري ، نهاية ، ج 32 ، ص 60 .

(36) ابن أيبك ، كنز ، ج 9 ، ص 101 .

(37) ابن دقماق ، إبراهيم بن محمد بن أيدمر العلائي ، (ت 809هـ/ 1406م) ، الانتصار لواسطة عقد الأمصار ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، (د . ت) ، ج 4 ، ص 71.

(38) العيني ، عقد ، ج 4 ، ص 264 .

(39) الجامع الأزهر : يعد أول جامع أسس بمدينة القاهرة تماشياً مع التخطيط العمراني ، قام جوهر الصقلي ببناء المسجد الجامع عند بناء القاهرة واكتمل بناءه عام (361هـ/ 971 م) وقد سمي في البداية جامع القاهرة . القلقشندي ، صبح ، ج 3 ، ص 410 .

(40) سنقر الأعسر : أحد مماليك المنصور قلاوون تولى عدة وظائف هامة في دولة المماليك مثل نيابة الاستادارية وشد الدواوين بدمشق وشد الدواوين بالقاهرة ثم الوزارة مرتين ، توفي عام (709هـ/ 1309م) . ابن تغري ، المنهل ، ج 6 ، ص 96 – 97.

(41) العيني ، عقد ، ج 4 ، ص 265 . ابن أيبك ، كنز ، ج 9 ، ص 101 .

(42) العيني ، عقد ، ج 4 ، ص 265 . النويري ، نهاية ، ج 32 ، ص 40 .

(43) المقريزي ، السلوك ، ج 1 ، ق 3 ، ص 944 .

(44) عبد العال ، زلزال ، ص 138 .

(45) جامع الفاكهيين : أو جامع الفاكهانيين ويعرف ب « الجامع الظافري « أو الجامع الأفخر ، وهو من المساجد الفاطمية المعلقة بناه الخليفة الفاطمي الظافر بأمر الله الفاطمي داخل باب زويلة ولك في عام (543هـ/ 1148م) ووقف حوانيته على سدانته ومن يقرأ فيه وقدر به دروسا وفقهاء ومعلمين للقرآن الكريم . القلقشندي ، صبح ، ج 3 ، ص 412.

(46) النويري ، نهاية ، ج 32 ، ص 40 . ابن أيبك ، كنز ، ج 9 ، ص 101 .

(47) النويري ، نهاية ، ج 32 ، ص 61 .

(48) المقريزي ، السلوك ، ج 1 ، ق 3 ، ص 944 .

(49) العيني ، عقد ، ج 4 ، ص 262 .

(50) المدرسة المنصورية : بناها السلطان المملوكي المنصور قلاوون عام (684هـ/ 1283م) وتقع في شارع بين القصرين وتشمل مدرسة وقبة وبيمارستان ويطلق عليها اسم مجموعة السلطان قلاوون . المقريزي ، الخطط ، ج 4 ، ص 218.

(51) سيف الدين كهرواش بن عبد الله المنصوري الزراق : أحد المماليك المنصورية قام بفتح جزيرة أرواد من الصليبيين عام (702هـ/ 1303م) وتنقل في عدة ولايات وتوفي بدمشق عام (714هـ/ 1314م) وكان بها أمير خمسين فارساً . ابن تغري ، جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي بن عبد الله الظاهري الحنفي ، (ت 874هـ/ 1469م) ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، 16 ج ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، دار الكتب ، مصر ، (د . ت)، ج 9 ، ص 228

(52) المقريزي ، السلوك ، ج 1 ، ق 3 ، ص 944 .

(53) النويري ، نهاية ، ج 32 ، ص 40 . العيني ، عقد ، ج 4 ، ص 265 .

(54) بيبرس المنصوري ، التحفة ، ص 173 .

(55) العيني ، عقد ، ج 4 ، ص 261 .

(56) المقريزي ، السلوك ، ج 1 ، ق 3 ، ص 943 .

(57) بيبرس المنصوري ، التحفة ، ص 173 .

(58) المنارة : هي إحدى عجائب الدنيا أمر ببنائها بطليموس الثاني فلادلفيوس الذي تولى حكم مصر سنة 285 ق . م ، حيث أقيمت منارة الإسكندرية في جزيرة فاروس التي كانت تبعد حوالي ميل عن الشاطئ الذي كانت تقع عليه قرية راكودة ، بلغ ارتفاعها 120م وبناها المهندس المعماري سوسترانوس في حوالي 270ق . م .

(59) ركن الدين بيبرس المنصوري الدوادار : من مماليك المنصور قلاوون ، ولاه نيابة الكرك وتولى عدة وظائف مثل الدوادارية وناظر الأحباس ثم رأس الميسرة وكبير الدولة ثم تولى نيابة السلطنة في أيام الملك الناصر محمد الثالثة ، ثم قبض عليه الملك الناصر وحبسه إلى أن مات، كان مهتماً بعلم التاريخ وتوفي بالقاهرة عام (725هـ/ 1325م) . ابن تغري ، النجوم ، ج 9 ، ص 263 . النويري ، نهاية ، ج 33 ، ص 138.

(60) العيني ، عقد ، ج 4 ، ص 265 .

(61) عبد العال ، زلزال ، ص 139 .

(62) بيبرس المنصوري ، التحفة ، ص 173 . العيني ، عقد ، ج 4 ، ص 265 .

(63) العيني ، عقد ، ج 4 ، ص 265 .

(64) المقريزي ، السلوك ، ج 1 ، ق 3 ، ص 944 .

(65) عبد العال ، زلزال ، ص 139 .

(66) العيني ، عقد ، ج 4 ، ص 265 .

(67) الخاص السلطاني : هو الإقطاع الذي يحوزه السلطان المملوكي وقد خص الخاص السلطاني في الروك الحسامي عام (697هـ/ 1297م) الذي قام به السلطان المملوكي حسام الدين لاجين بأربعة قراريط من أربع وعشرين قيراطا من أرض مصر . بيبرس المنصوري ، مختار ، ص 105

(68) عبد العال ، زلزال ، ص 159 .

(69) سالم ، السيد عبد العزيز ، تاريخ الإسكندرية عبر العصور ، ط 2 ، الإسكندرية ، 1999م ، ص 290 .

(70) النويري ، نهاية ، ج 33 ، ص 56 .

(71) عبد العال ، زلزال ، ص 140 .

(72) ابن حبيب ، الحسن بن عمر بن الحسن بن عمر بن حبيبي ، (ت 779هـ / 1377م) ، تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه ، 3 ج ، حققه ووضع حواشيه : محمد محمد أمين ، مراجعة : سعيد عبد الفتاح عاشور ، مطبعة دار الكتب ، مصر ، 1976 م ، ج 3 ، ص 58 . السيوطي ، كشف ، ص 46.

(73) المقريزي ، السلوك ، ج 3 ، ص 404 .

الأملاك الديوانية : هي الأملاك التي تخضع للدولة وتُسجل في دواوين الدولة . دهمان ، معجم ، ص 23.

(74) ناجي ، حميدان ، الكوارث الطبيعية وآثارها في بيت المقدس في العهد المملوكي (648 - 923هـ/ 1250 - 1516م) ، المجلة العربية للعلوم ونشر الأبحاث ، مجلد 7 ، عدد 2 ، (ص 1 - 19) ، المركز القومي للبحوث ، غزة ، فلسطين ، 2023م ، ص 11.

(75) ابن شاهين ، زين عبد الباسط غرس الدين خليل بن شاهين الظاهريّ الحنفيّ ، (ت 920هـ/ 1515م) ، نيل الأمل في ذيل الدول ، 9 ج ، تحقيق : عمر عبد السلام تدمري ، ط 1 ، الناشر : المكتبة العصرية للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، 1422هـ/ 2002م ، ج 6 ، ص 48 . العليمي ،

مجير الدين عبد الرحمن بن محمد الحنبلي ، (ت 928هـ / 1521م) ، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل ، 2 ج ، الناشر : مكتبة المحتسب ، عمان ، 1973م ، ج 2 ، ص 102.

(76) عين تاب : قلعة حصينة ورستاق بين حلب وأنطاكية كانت تعرف بدلوك ودلوك رستاقها وهي من أعمال حلب . ابن شاهين ، نيل ، ج 7 ، ص 379.

(77) ابن شاهين ، نيل ، ج 7 ، ص 379 .

(78) العليمي ، الأنس ، ج 2 ، ص 387 .

(79) ناجي ، الكوارث ، ص 11 .

(80) باب الجابية : من أبواب مدينة دمشق في الجهة الغربية بني في العهد الروماني وينسب إلى قرية الجابية لأن الخارج من دمشق إليها يخرج من هذا الباب ، هُدِمَ في بداية الحكم العباسي لبلاد الشام سنة (132هـ/ 750م) وبقي على حاله حتى أعاد بناءه السلطان نور الدين زنكي سنة (560هـ/ 1164م) . ابن عساكر ، علي بن الحسن ، (ت 571هـ/ 1175م) ، تاريخ مدينة دمشق ، 80 ج ، دراسة وتحقيق : عمر غرامة العمري ، دار الفكر ، بيروت ، (1428هـ/ 2008م) ، ج 2 ، ص 187.

(81) جسر الفراديس : جسر من جسور مدينة دمشق أقيم بجانب باب الفراديس ولذلك سمي بهذا الاسم . ابن عساكر ، تاريخ ، ج 2 ، ص 182 . ابن كثير ، البداية ، ج 13 ، ص 303.

(82) ابن كثير ، البداية ، ج 13 ، ث 307 .

(83) ابن الفرات ، تاريخ ، ج 8 ، ص 37 – 38 . المقريزي ، السلوك ، ج 2 ، ص 193 . ابن أيبك ، كنز ، ج 8 ، ص 278 . ابن كثير ، البداية ، ج 13 ، ص 307.

(84) المقريزي ، السلوك ، ج 2 ، ص 240 . ابن الفرات ، تاريخ ، ج 8 ، ص 154 .

(85) النويري ، نهاية ، ج 32 ، ص 190 – 191 .

(86) ابن الجزري ، تاريخ ، ج 2 ، ص 274 – 276 .

(87) النويري ، نهاية ، ج 33 ، ص 202 – 206 . ابن حبيب ، تذكرة ، ج 2 ، ص 181 .

(88) العليمي ، الأنس ، ج 2 ، ص 97 .

(89) ناجي ، الكوارث ، ص 10 .

(90) العليمي ، الأنس ، ج 2 ، ص 170 .

(91) العجلوني ، إسماعيل بن محمد ، (ت 1087هـ/ 1676م) ، تحريك السلسلة فيما يتعلق بالزلزلة، اعتناء سفيان بن عايش بن محمد ، دار ابن الجوزي ، عمان ، (د . ت) ، ص 112 .

الأشرف سيف الدين إينال العلائي : تولى السلطنة المملوكية في سنة (856هـ/ 1452م) وتوفي في سنة (865هـ/ 1460م) فكانت مدة سلطنته ثمان سنين وشهرين . السخاوي ، محمد بن عبد الرحمن ، (ت 902هـ/1496م) ، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، 12 ج ، تحقيق : محمد جمال القاسمي ، (د . ط) ، دار الجليل ، بيروت ، (1412هـ/ 1992م) ، ج 2 ، ص 228 – 229.

(92) العليمي ، الأنس ، ج 2 ، ص 100 . غوانمة ، التاريخ ، ص 270 .

(93) ابن شاهين ، نيل ، ج 6 ، ص 141 .

(94) السخاوي ، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن ، (ت 902هـ/ 1496م) ، الذيل التام على دول الإسلام ، حققه وعلق عليه : حسن إسماعيل مروة ، ط 1 ، مكتبة دار العروبة، الكويت ، ودار ابن العماد ، بيروت ، 1413هـ/ 1992م ، ج 2 ، ص 663 .

مدرسة السلطان حسن : وتعرف بجامع السلطان حسن تقع تجاه قلعة الجبل فيما بين القلعة وبركة الفيل ، وابتدأ السلطان عمارته في سنة (757هـ/ 1356م) . المقريزي ، الخطط، ج 3 ، ص 48.

(95) العليمي ، الأنس ، ج 2 ، ص 360 .

(96) ابن الفرات ، تاريخ ، ج 7 ، ص 250 .

(97) الذهبي ، دول ، ج 2 ، ص 205 .

(98) ابن الفرات ، تاريخ ، ج 7 ، ص 250 .

(99) الذهبي ، دول ، ج 2 ، ص 285 . المقريزي ، السلوك ، ج 3 ، ص 282 .

(100) مجهول ، تاريخ ، ص 95 .

(101) سوق الدهشة : سوق مختصة بالملابس والأمتعة الخاصة بالنساء تقع شرق الجامع الأموي . دهمان ، محمد أحمد ، ولاة دمشق في عهد المماليك ، ط 2 ، دار الفكر ، دمشق ، 1401هـ/ 1981م ، ص 228.

(102) مجهول ، تاريخ ، ص 95 . الذهبي ، دول ، ج 2 ، ص 285 .

(103) ابن كثير ، البداية ، ج 14 ، ص 241 . دهمان ، ولاة ، ص 204 .

(104) ابن كثير ، البداية ، ج 14 ، ص 27 .

المصادر والمراجع :

(1) ابـن أيبـك الـدواداري ، أبـو بكـر بـن عبـد اللـه ، (ت 713هـ/ 1313م) ، كنـز الـدرر وجامـع الغـرر، تحقيـق : هانسروبـرت رويمـر ، (د . ط) ، قسـم الدراسـات الإسـلامية بالمعهـد الألمـاني ، القاهـرة ، 1371هـ/ 1971م .

(2) ابـن تغـري ، جـمال الديـن أبي المحاسـن يوسـف بـن تغـري بـردي الأتابـكي بـن عبـد اللـه الظاهـري الحنفـي ، (ت 874هـ/ 1469م) ، النجـوم الزاهـرة في ملـوك مـصر والقاهـرة ، 16 ج ، وزارة الثقافـة والإرشـاد القومـي ، دار الكتـب ، مـصر ، (د . ت) .

(3) ابـن تغـري ، المنهـل الصـافي والمسـتوفي بعـد الـوافي ، 7 ج ، حققـه ووضـع حواشـيه : دكتـور محمـد محمـد أمـين ، تقديـم : دكتـور سـعيد عبـد الفتـاح عاشـور ، (د . ط) ، النـاشر : الهيئـة المصريـة العامـة للكتـاب ، مـصر ، (د . ت) .

(4) بيـبرس المنصـوري ، ركـن الديـن بـن عبـد اللـه ، (ت 725هـ/ 1324م) ، التحفـة الملوكيـة في الدولـة التركيـة ، تحقيـق : عبـد الحميـد صالـح حمـدان ، ط 1 ، الـدار المصريـة اللبنانيـة ، القاهـرة ، 1407هـ/ 1987م .

(5) المنصـوري ، بيـبرس ، مختـار الأخبـار ، تحقيـق : عبـد الحميـد صالـح حمـدان ، ط 1 ، الـدار المصريـة اللبنانيـة ، القاهـرة ، 1413هـ/ 1993م .

(6) ابـن الجـزري ، محمـد بـن إبراهيـم ، (ت 738هـ/ 1338م) ، تاريـخ حـوادث الزمـان ووفيـات الأكابـر والأعيـان مـن أبنائـه « المعـروف بتاريـخ ابـن الجـزري ، (د . ط) ، المكتبـة العصريـة ، صيـدا، (د . ت) .

(7) ابـن حبيـب ، الحسـن بـن عمـر بـن الحسـن بـن عمـر بـن حبيبـي ، (ت 779هـ / 1377م) ، تذكـرة النبيـه في أيـام المنصـور وبنيـه ، 3 ج ، حققـه ووضـع حواشـيه : محمـد محمـد أمـين ، مراجعـة : سـعيد عبـد الفتـاح عاشـور ، مطبعـة دار الكتـب ، مـصر ، 1976 م .

(8) حسـن ، عـلي إبراهيـم ، تاريـخ المماليـك البحريـة « في عـصر النـاصر محمـد بوجـه خـاص « ، (د . ط) ، مكتبـة النهضـة المصريـة ، القاهـرة ، 1979م .

(9) ابـن شـاهين ، زيـن عبـد الباسـط غـرس الديـن خليـل بـن شـاهين الظاهـريّ الحنفـيّ ، (ت 920هـ/ 1515م) ، نيـل الأمـل في ذيـل الـدول ، 9 ج ، تحقيـق : عمـر عبـد السـلام تدمـري ، ط 1 ، النـاشر : المكتبـة العصريـة للطباعـة والنـشر ، بـيروت ، لبنـان ، 1422هـ/ 2002م .

(10) ابـن سـباط ، صـدق الأخبـار أو تاريـخ ابـن سـباط ، تحقيـق : عمـر عبـد السـلام تدمـري ، (د . ط) ، لبنـان ، 1993م .

(11) السخاوي ، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن ، (ت 902هـ/ 1496م) ، الذيل التام على دول الإسلام ، حققه وعلق عليه : حسن إسماعيل مروة ، ط 1 ، مكتبة دار العروبة ، الكويت ، ودار ابن العماد ، بيروت ، 1413هـ/ 1992م .

(12) ابن دقماق ، إبراهيم بن محمد بن أيدمر العلائي ، (ت 809هـ/ 1406م) ، الانتصار لواسطة عقد الأمصار ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، (د . ت) .

(13) دهمان ، محمد أحمد ، معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي ، ط 1 ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، لبنان ، دار الفكر ، دمشق ، سوريا ، 1410هـ / 1990م.

(14) الذهبي ، أبي عبد الله شمس الدين محمد ابن أحمد بن عثمان ، (ت 748هـ/ 1347م) ، دول الإسلام ، جزأين ، تحقيق : حسن إسماعيل مروة ، ط 1 ، دار صادر للطباعة والنشر ، بيروت ، 1999م .

(15) سالم ، السيد عبد العزيز ، تاريخ الإسكندرية عبر العصور ، ط 2 ، الإسكندرية ، 1999م .

(16) السخاوي ، محمد بن عبد الرحمن ، (ت 902هـ/1496م) ، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، 12 ج ، تحقيق : محمد جمال القاسمي ، (د . ط) ، دار الجليل ، بيروت ، (1412هـ/ 1992م) .

(17) سوفاجيه ، جان ، دمشق الشام – لمحة تاريخية منذ العصور القديمة حتى عهد الانتداب - ، ترجمة : فؤاد أحمد البستاني ، دمشق ، 1989م .

(18) السيد ، محمود ، تاريخ عرب الشام في العصر المملوكي ، (د . ط) ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، 1997 .

(19) السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر ، كشف الصلصلة عن وصف الزلزلة ، نسخة المكتبة الأزهرية ، رقم (2491 عام) (130 خاص) .

(20) عاشور ، مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك ، (د . ط) ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، 1972م .

(21) ابن عبد الظاهر ، محيي الدين ، تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور « وتتناول الحقبة ما بين (678 – 689هـ/ -1279 1290م) ، تحقيق : مراد كامل ، مراجعة : محمد علي النجار ، (د . ط) ، الشركة العربية للطباعة والنشر ، الجمهورية العربية المتحدة ، 1961 م .

(22) ابن المغيزل ، نور الدين علي بن عبد الرحيم المظفري ، ذيل مفرج الكروب في أخبار بني أيوب ، تحقيق : عمر عبد السلام تدمري ، ط 1 ، المكتبة العصرية ، صيدا – لبنان ، (1425هـ/ 2004م) .

(23) عبد العال ، سيد محمود ، زلزال عام 702هـ/ وأثره في مصر المملوكية ، مجلة وقائع تاريخية، عدد 13 ، (ص -123 170) ، الناشر : جامعة القاهرة ، 2010م.

(24) ابـن عسـاكر ، عـلي بـن الحسـن ، (ت 571هـ/ 1175م) ، تاريـخ مدينـة دمشـق ، 80 ج ، دراسـة وتحقيـق : عمـر غرامـة العمـري ، دار الفكـر ، بـيروت ، (1428هـ/ 2008م) .

(25) العجلـوني ، إسـماعيل بـن محمـد ، (ت 1087هـ/ 1676م) ، تحريـك السلسـلة فيـما يتعلـق بالزلزلـة، اعتنـاء سـفيان بـن عايـش بـن محمـد ، دار ابـن الجـوزي ، عـمان ، (د.ت) .

(26) العليمـي ، مجـير الديـن عبـد الرحمـن بـن محمـد الحنبـلي ، (ت 928هـ / 1521م) ، الأنـس الجليل بتاريـخ القـدس والخليـل ، 2 ج ، النـاشر : مكتبـة المحتسـب ، عـمان ، 1973م .

(27) العينـي ، بـدر الديـن محمـود ، (ت 855هـ/ 1451م) ، عقـد الجـمان في تاريـخ أهـل الزمـان ، 3 ج، تحقيـق : محمـد محمـد أمـين ، (د . ط) ، الهيئـة المصريـة العامـة للكتـاب ، القاهـرة ، (1412هـ/ 1992م) .

(28) غوانمـة ، يوسـف ، التاريـخ الحضـاري لشرقـي الأردن في العـصر المملـوكي ، ط 2 ، دار الفكـر ، عـمان ، 1982م .

(29) ابـن الفـرات ، نـاصر الديـن محمـد بـن عبـد الرحيـم ، (ت 807هـ/ 1405م) ، تاريـخ الـدول والملوك « نـشر باسـم تاريـخ ابـن الفـرات « ، 9 ج ، حقـق المجلديـن الرابـع والخامـس منـه حسـن محمـد الشـماع ، بغـداد ، « 1390هـ/ 1970م « ، المجلـدات 7 – 9 تحقيـق قسـطنطين زريـق ، (د . ط) ، المطبعـة الأميركيـة ، بـيروت ، « 1936 – 1942م .

(30) القلقشـندي ، أحمـد بـن عـلي بـن أحمـد الفـزاري ، (ت 821هـ/ 1418م) ، مآثـر الإنافـة في معـالم الخلافـة ، 13ج ، تحقيـق : عبـد السـتار أحمـد فـراج ، ط 2 ، مطبعـة حكومـة الكويـت ، الكويـت ، 1985م .

(31) مؤلـف مجهـول ، (ت 742هـ/ 1341م) ، تاريـخ سـلاطين المماليـك ، تحقيـق : زيـتر سـتين ، (د . ط) ، ليـدن ، 1919م.

(32) المقريـزي ، تقـي الديـن أحمـد ابـن عـلي ، (ت 845هـ / 1441 م) ، السـلوك لمعرفـة دول الملـوك ، 6 ج ، تحقيـق : محمـد مصطفـى زيـادة ، مطبعـة لجنـة التأليـف والترجمـة والنـشر ، القاهـرة ، 1956 م ، تحقيـق : سـعيد عبـد الفتـاح عاشـور ، مطبعـة دار الكتـب ، القاهـرة ، 1970 م .

(33) المقريـزي ، تقـي الديـن أحمـد بـن عـلي ، (ت 845هـ / 1441م) ، المواعـظ والاعتبـار بذكـر الخطـط والآثـار المعـروف بالخطـط المقريزيـة ، 4 ج ، ط 1 ، منشـورات : محمـد عـلي بيضـون ، دار الكتـب العلميـة ، بـيروت ، 1418هـ / 1998م.

(34) ناجـي ، حميـدان ، الكـوارث الطبيعيـة وآثارهـا في بيـت المقـدس في العهـد المملـوكي (648 – 923هـ/ 1250 – 1516م) ، المجلـة العربيـة للعلـوم ونـشر الأبحـاث ، مجلـد 7 ، عـدد 2 ، (ص 1 – 19) ، المركـز القومـي للبحـوث ، غـزة ، فلسـطين ، 2023م .

(35) النهار ، عمار محمد ، تاريخ المماليك ، ط 1 ، منشورات جامعة دمشق « كلية الآداب والعلوم الإنسانية « ، سوريا ، 1435هـ/ 2014 م .

(36) النويري ، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب ، (ت 733هـ/ 1332م) ، نهاية الأرب في فنون الأدب ، 33 ج ، تحقيق : نجيب مصطفى فواز وحكمت كشلي فواز ، ط 1 ، منشورات : محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، بيروت ، 1424هـ / 2004 م .